الاتجاهات التفسيرية في قول الله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) إلى قوله تعالى:(جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) [الإسراء ٤-٨] عرض ومناقشة[١]

د. منصور بن حمد العيدي

أستاذ التفسير المشارك في قسم الدراسات القرآنية – جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

المملكة العربية السعودية.

mhaleidi@iau.edu.sa

Interpretation trends in Surat AlIsra, Ayats 4-8: Presentation and discussion

Dr. Mansour bin Hamad Al-Eidi

Associate Professor of Interpretation in the Department of Qur'anic Studies - Imam Abdul Rahman bin Faisal University

Kingdom of Saudi Arabia.

.ملخص البحث:

من الآيات الكريمات التي أثير حولها جدل كبير في السنوات الأخيرة: قول الله تعالى: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ ﴾ [الإسراء: ٤ -٨] لا سيما ونحن نعيش في زمن الصراع مع بني إسرائيل، وقد تعددت الاتجاهات والأقوال في تفسير المرتين، وتفسير العباد، والمخاطب بهذه الآيات، فجاءت هذه الدراسة تهدف لتسليط الضوء على كافة الاتجاهات والأقوال

Abstract:

This article aims to address the interpretation trends in Surat AlIsra, Ayats 4-8, specifically due to living in Arab- Israeli conflict. There are several interpretations addressing these Ayats. It also aims to uncover all the trends and sayings in these issues, and discuss them. The study employs the inductive and critical approach. It concludes that what is correct regarding these issues applies to all similar cases. The addressees here are Bani Israel: "Don't do wrong twice; if you do, you will go to Hell."

Keywords: Judged, thereafter promise, book, coming repeatedly, once (again).

[١] تاريخ الاستلام: ١٠ / ٤ / ٢٠٢٤، تاريخ القبول: ٢٩ / ٤ / ٢٠٢٤

في هذه الأمور، ومناقشتها، بمنهج استقرائي ونقدي، وقد خلص الباحث إلى أن الصواب في هذه الآية: أن المرتين قد حدثتا قبل الإسلام بقرون، وأن العباد في الآية الكريمة من أمم سابقة، وليسوا من هذه الأمة، وأن الخطاب كله لبني إسرائيل.

الكلمات المفتاحية: قضينا، وعد الآخرة، الكتاب، جاسوا، الكرّة.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل القرآن الكريم معجزة خالدة، وذكر فيه من أخبار الغيب الماضية والمستقبلة، ما يشهد بصحته، وصدق من جاء به عليه الصلاة والسلام، ومن هذه الآيات التي تتضمن خبرا غيبياً: قول الله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤ -٨] وهي الآيات التي صارت في الآونة الأخيرة مثار جدلٍ كبير، الأمر الذي ينبغي معه دراسة هذه الآيات دراسة فاحصة.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- الصلة الوثيقة لهذه الآيات بالواقع المعاصر.
- شيوع الأقوال المرجوحة في تفسير هذه الآيات.
- أن هذه الآيات تُعدّ مثالاً على الإعجاز الغيبي القرآني.
- حصول انتقاص للسلف المتكلمين في هذه الآيات، ممّا يستدعي بيان صواب نظرهم.

مشكلة البحث: هذه الآيات الكريمات -التي تتحدث عن وعدين مقضيين على بني إسرائيل- قد حصل فيها خلاف بين المفسرين من جهات عدة، منها: من جهة وقوع المقضي أو عدم ذلك، ومنها: من جهة المخاطب بها، فجاء هذا البحث ليتناول الخلاف في هذين الأمرين، ويخضعه للدراسة، وصولاً إلى الترجيح.

أهداف البحث:

- الاطلاع على اتجاهات التفسير في هذه الآيات القديمة والحديثة.
- معرفة الاتجاه الصحيح من هذه الاتجاهات.
- التأكد من صحة وجود إجماع في معنى هذه الآيات
- تفنيد دعوى اعتماد السلف في تفسير هذه الآيات على الإسرائيليات.

الدراسات السابقة:

لاشك أن هذه الآيات كانت محل عناية المفسرين، فلم يهملها أحد منهم، لكنها لم تخضع للتفسير المقارن، إلا فيما يتعلق بنوع العباد المبعوثين – في الآية الكريمة- حتى كان العصر الحديث فاستجدت قراءات جديدة لهذا النص القرآني، ممّا جعل بعض الباحثين يخضع الأقوال فيها للمقارنة، وقد وجدت في ذلك ثلاثة أبحاث: الأول بعنوان: أثر الواقع في اختلاف النص القرآني عند المفسرين: إفساد بني إسرائيل في سورة الإسراء نموذجا، للدكتور جهاد النصيرات، نُشر في مجلة جامعة الكويت، مجلد ٢٧، عدد ٨٩، عام ٢٠١٢م. الثاني: آراء المفسرين في إفسادي بني إسرائيل من خلال سورة الإسراء، للدكتور محمد الجمل، نُشر في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١١، عدد ٣، عام ٢٠١٥. الثالث: أقوال المفسرين في إفساد الإسرائيليين للأستاذ العرابي صفية، نُشر في مجلة المنهل، العدد ٤، عام ٢٠١٧.

إلا أنها جميعاً لم تستوف جميع الاتجاهات فقد فات عليهم بعضها، كما أنها لم تستوف الأدلة أيضاً لاسيما الاتجاه المأثور عن السلف، ولم أر أنها اعتنت بقواعد التفسير، كان من نتيجة ذلك أني لم أوافقهم على ترجيحهم، الأمر الذي يستدعي إثبات ذلك من خلال بحث مُحكم، يُذكر فيه جميع الاتجاهات بأدلتها مستوفاة، مع إعمال قواعد التفسير.

موضوع البحث: الآيات الكريمات من سورة [الإسراء: ٤ -٨]

حدود البحث: اقتصر البحث على هذه الآيات، وما ذكره المفسرون في معناها، بما يخدم حل مشكلة البحث، ولن يتطرق إلى آيات أخرى إلا بما يخدم الآيات محل الدراسة.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المناهج الآتية:

المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء كل ما ورد عن المفسرين -قديما وحديثا- في هذه الآيات من جهة وقوع المرتين، ومن جهة المخاطب بها.

المنهج النقدي: وذلك بمناقشة كل ما أورده المفسرون من أدلة وقرائن، ثم قبول ذلك أو ردّه.

إجراءات البحث: ستكون على النحو التالي:

- استخراج ونقل اتجاهات المفسرين في هذه الآيات – ضمن حدود البحث –
- مراعاة الأسبقية في هذه الاتجاهات.
- تقسيم كل اتجاه إلى قسمين – إن استدعى الأمر ذلك-
- الاستدلال لجميع الاتجاهات بأقسامها، ومناقشتها
- بيان الاتجاه الراجح.

- توثيق المادة العلمية.
- عمل فهرس للمراجع.
- عمل ملخص بالعربية وآخر بالإنجليزية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث جعله في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

المقدمة تحتوي على موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطة البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: معاني مفردات الآية، والمعنى الإجمالي لها.

المطلب الأول: الاتجاه الأول للتفسير: أنها وقعتا قبل الإسلام، وأن الخطاب لبني إسرائيل.

المطلب الثاني: الاتجاه الثاني للتفسير: إحدى المرتين قبل الإسلام، والثانية ما نعيشه الآن.

المطلب الثالث: الاتجاه الثالث للتفسير: كلا المرتين تكونان في الإسلام، وأن الخطاب لبني إسرائيل.

ثم الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وسيجد القارئ – إن شاء الله تعالى – في هذا البحث جميع الاتجاهات التي رجحت قولاً تفسيرياً، مقرونة بأدلتها، ومناقشة ذلك، وترجيح – ما يراه الباحث– أنه القول الصواب.

سائلا المولى العلي القدير التوفيق والسداد، والله – تعالى – أعلى وأعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد في معاني مفردات الآيات، والمعنى الإجمالي لها:

وتحته فرعان:

الفرع الأول: معاني مفردات الآيات.

قضينا: أعلَمْنا وكتَبْنا وعَهِدنا[١]، فهو قضاء بالإعلام والفصل في الحكم[٢].

لَتَعلُنَّ: لتظهَرُنَّ[٣]، وتطغَوُنَّ وتعظمُنَّ[٤].

فجاسوا: مشَوا في أرضكم عاثين مفسدين، يطلبونكم باستقصاءٍ لقتلكم[٥].

الكَرَّة: الدولة[٦] والرجعة بحصول الغلبة والظَّفَر لكم[٧].

نفيرًا: عددًا، وأصله مَن ينفر مع الرجل من عشيرته، وأهل بيته[٨]. والنفير: القوم الذين يجتمعون ليصيروا إلى أعدائهم فيحاربوهم[٩].

ليَسوءوا وجوهكم: يُقَبحوها[١٠].

ليُتَبِّروا: يُدمِّروا[١١]، ويُهلِكوا[١٢].

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي لهذه الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۚ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾ [الإسراء: ٤ -٨]

يخبر ربنا -تبارك وتعالى- أنه أوحى إلى بني إسرائيل فيما أنزل عليهم من الكتاب إلى موسى، مخبرًا إياهم بوحي جازم: أنه سيقع منهم عصيان عظيم لأمر الله، ومخالفة لأمره في بلاده مرتين؛ الأولى: في زمن تكونون فيه في حالة عظيمة من الغلبة والعظمة، تجعلكم تستكبرون بغير حق. فإذا حان وقت عقوبتكم عليه -وهي العقوبة الأولى- سلَّطنا عليكم عبادًا لنا ذوي قوة وشجاعة، فيدخلون المسجد الأقصى، ويغلبونكم على أرضكم، ويقتلونكم ويُشَرِّدونكم، وكان هذا أمرًا لا بد من وقوعه، ثم يتفضل عليكم رب العالمين فيزيدكم عددًا ومالًا، فتغلِبون أولئك العباد الذين سُلِّطوا عليكم. ثم يقول -تعالى- لهم: إن أطعتم الله وأصلحتم أمركم فإنَّ نفْع ذلك لكم في الدنيا بالنصر على الأعداء واستقامة حالكم، وفي الآخرة يثيبكم الله به جنته. وإن عصيتم ربكم فإنَّ وبال ذلك عليكم في الدنيا بتسلط الأعداء، وسوء الحال، وفي الآخرة بعذاب الله. فإذا حان وقت العقوبة الثانية على الفساد الثاني، سلَّطنا عليكم الأعداء مرة أخرى، فأذلوكم ذُلًّا يستبين على وجوهكم، ودخلوا المسجد الأقصى قهرًا منهم لكم وغلبة، ودمروا كل شيء يظهرون عليه. ولعل ربكم يتفضل عليكم برحمة منه فيُعزكم بعد ذُلِّكم، ويرفع خسيستكم، فإن عدتم إلى الإفساد والظلم عُدْنا عليكم بالعقاب والذل. وجعلنا لكم -إن كفرتم- ولكل كافر جهنمَ سجنًا لا يخرجون منه أبدًا(١٣).

هذا هو المعنى الإجمالي للآيات، وهو ما يتوافق -في الجملة- مع اتجاهات التفسير فيها، إلا أنه وقع خلاف في هاتين المرتين؛ من حيث أُولاهما وقوعًا وهل كان وقوعها -إن كانت وقعت- قبل الإسلام أو بعده، أو وقعت واحدة والأخرى لم تقع، وهل الخطاب لبني إسرائيل فقط أو بعضه لهذه الأمة؟

وهو ما سنتناوله في المطالب القادمة -إن شاء الله تعالى- موضحين اتجاهات التفسير في هذه الآيات.

المطلب الأول: الاتجاه الأول: أنهما وقعتا قبل الإسلام، وأن الخطاب لبني إسرائيل:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن هاتين المرتين قد وقعتا قبل الإسلام بقرون؛ فهو من حديث القرآن

الكريم عن الأخبار الماضية. رُوِيَ عن علي بن أبي طالب[١٤]، وعن ابن مسعود[١٥]، وبه قال ابن عباس[١٦]، وسعيد بن جبير[١٧]، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي[١٨]، والضحاك[١٩]، والربيع بن أنس[٢٠]، ومقاتل[٢١]، وابن زيد[٢٢]. وقال به من المفسرين: الطبري[٢٣]، والسمرقندي[٢٤]، وابن أبي زمنين[٢٥]، والثعلبي[٢٦]، ومكي[٢٧]، والمهدوي[٢٨]، والواحدي، ونسب مقتضاه إلى المفسرين[٢٩]، والسمعاني[٣٠]، والبَغَوي[٣١]، والكرماني[٣٢]، وأبو حفص النسفي[٣٣]، والزمخشري[٣٤]، وابن عطية[٣٥]، وابن الجوزي[٣٦]، ويُفهَم من كلامه نسبة ذلك إلى المفسرين[٣٧]، والرازي[٣٨]، والبيضاوي[٣٩]، وابن تيمية[٤٠]، والخازن[٤١]، وابن جُزَي[٤٢]، وأبو حيان[٤٣]، والقمي النيسابوري[٤٤]، والكوراني[٤٥]، والسيوطي[٤٦]، والثعالبي[٤٧]، والعليمي[٤٨]، وإسماعيل حقي[٤٩]، والألوسي[٥٠]، والقاسمي[٥١]، والمراغي[٥٢]، والسعدي[٥٣]، والطاهر ابن عاشور[٥٤]، والشنقيطي[٥٥]، ووهبة الزحيلي[٥٦].

إلا أنهم اختلفوا في تحديد هؤلاء المبعوثين في المرة الأولى؛ فقيل: جالوت، وقيل: بُختَنَصَّر، وقيل: سنحاريب، وقيل: العمالقة، وقيل: ملوك من فارس، وقيل: قوم مؤمنون[٥٧].

وأما في المرة الثانية فحكى الطبري الإجماع على أنه بسبب قتل يحيى بن زكريا[٥٨]، وإنما وقع الخلاف: هل المبعوث لهم بُختنَصَّر أو بعض ملوك الرومان؟ والمحققون من العلماء يرون أن بختنصر لم يكن في زمن يحيى، وإنما قبله بقرون، والمثبَت في تواريخ أهل الكتاب أن المبعوث في المرة الثانية: إسبيانوس؛ أحد القياصرة[٥٩].

ولا يترتب على تحديد هؤلاء كبير فائدة -بعد الاتفاق على كونها حوادث تاريخية- وإنما المقصود أخذ العظة والعبرة[٦٠].

أدلة هذا الاتجاه:

استدل هؤلاء العلماء بأدلة نقلية وتاريخية؛ فمن ذلك:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة: ٧١].

ووجه الاستدلال: أن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن عمى وصمم أصاب بني إسرائيل مرتين، وهاتان المرتان هما اللتان نتج عنهما العقوبتان الغليظتان على بني إسرائيل المذكورتان في سورة الإسراء.

يقول القفال: "ذكر الله تعالى في سورة بني إسرائيل ما يجوز أن يكون تفسيراً لهذه الآية، فقال: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ

وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ ﴾، فهذا في معنى ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾، ثم قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـࣰٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾، فهذا في معنى قوله: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ "(٦١). وسبقه إلى هذا التجويز: الماتُريدي(٦٢). وإذا كان الماتُريدي والقَفال جوّزا هذا فحسب، فإن ابن عاشور والشنقيطي جزمَا به.

يقول ابن عاشور: "وقد وقف الكلام عند هذا العمى والصمم الثاني، ولم يُذكَر أن الله تاب عليهم بعده؛ فدل على أنهم أعرضوا عن الحق إعراضًا شديدًا مرة ثانية، فأصابتهم فتنة لم يتُبِ الله عليهم بعدها.

ويتعين أن ذلك إشارة إلى حادثين عظيمين من حوادث عصور بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، والأظهر: أنهما حادث الأسر البابلي؛ إذ سلط الله عليهم (بختنصر) ملك (أشور) فدخل بيت المقدس مرات: سنة ٦٠٦، وسنة ٥٩٨، وسنة ٥٨٨ قبل المسيح.... وحادث الخراب الواقع في زمن (تيطس) القائد الروماني .... وقد أشار القرآن إلى هذين الحدثين بقوله: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾"(٦٣). ووافقه الشنقيطي ثم قال: "وهذا البيان الذي ذكرنا في هذه الآية ذكره بعض المفسرين، وكثير منهم لم يذكره، ولكن ظاهر القرآن يقتضيه؛ لأن السياق في ذكر أفعالهم القبيحة الماضية من قتل الرسل وتكذيبهم"(٦٤).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٦٧﴾[الأعراف: ١٧٦].

ووجه الاستدلال من هذه الآية: أنها أخبرت بوعد من الله قاطع بأنه سينزل باليهود المخالفين لشرعه أشد العقوبة، وهو عين ما وعد الله به في سورة الإسراء بقوله: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾، وقد اتفقت كلمة السلف على ذلك(٦٥)؛ يقول قتادة: "﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾ عاد القومُ بشرِّ ما يحضُرُهم، فبعَث اللَّهُ عليهم ما شاء أن يبعَثَ من نقمتِه وعقوبتِه، ثم كان ختامَ ذلك أنْ بعَث اللَّهُ عليهم هذا الحيَّ مِن العربِ، فهم في عذابٍ منهم إلى يومِ القيامةِ؛ قال اللَّهُ عز وجل في آيةٍ أخرى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٦٧﴾ [الأعراف: ١٧٦]"(٦٦).

يقول ابن عاشور: "ولذلك كان قوله: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٦٧﴾ معناه: ما داموا على إعراضهم

وعنادهم وكونهم أتباع ملة اليهودية مع عدم الوفاء بها، فإذا أسلموا وآمنوا بالرسول النبيء الأمي فقد خرجوا عن موجب ذلك التأذُّن، ودخلوا فيما وعد الله به المسلمين... وأول من سُلط عليهم «بختنصَّر» ملك (بابل)، ثم توالت عليهم المصائب، فكان أعظَمَها خرابُ (أرشليم) في زمن (إدريانوس) انبراطور (رومة) ولم تَزَل المصائب تنتابهم ويُنَفس عليهم في فترات معروفة في التاريخ.... وقد ألمَّ بمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾"(٦٧).

ويقول الشنقيطي: "وهذه الآية الكريمة من سورة الأعراف فيها التنصيص الصريح مِنْ رَبِّ العالمين أنه يُسلِّط على اليهود في دار الدنيا حتى تقوم الساعة من يذيقهم سوء العذاب، ويعذبهم أشد التعذيب وأتمَّه، وهذا قد بيَّنَّا بعضه مرارًا؛ لأن الله سلَّط عليهم سابقًا بختنَصَّر وأهانهم تلك الإهانة الشديدة، وملك الرومان؛....... لأن الله يقول: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المفسرون والمؤرخون يقولون: إن إحدى المرتين تسليط بختنصر عليهم، والثانية: تسليط ملك الرومان"(٦٨). وقد نسب الماتُريدي هذا الربط بين الآيتين إلى جماعة لم يسمِّهم(٦٩).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤].

ووجه الاستدلال من هذه الآية: أنها أخبرت عمَّا حصل من بعض الظَّلَمة المفسدين من تخريب المسجد الأقصى، والحيلولة دون التعبد لله فيه، وإنما حصل هذا على أثر الإفساد الثاني لبني إسرائيل، الذي أعقبه غزو الرومان لبني إسرائيل وتخريبهم المسجد الأقصى، وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين من السلف(٧٠).

ونوقش هذا الدليل باحتمال أن تكون الآية في قريش حين منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام.

وأبى هذا الطبري، فقال: "والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيامُ الحجة بأن لا قولَ في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها، وأن لا مسجد عنى اللهُ عز وجل إلا أحدُ المسجدين؛ إما مسجد بيت المقدس، وإما المسجد الحرام. وإذ كان ذلك كذلك، وكان معلومًا أن مشركي قريش لم يسْعَوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه؛ صحَّ وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده غيرُ الذين وصفهم الله بعمارتها؛ إذ كان مشركو قريش هم بنَوا المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارُهم، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذى يرضاه الله منهم"(٧١). وعلى التسليم فيمكن حمل الآية على المسجدين، فيكون فيها دلالة على كون آية الإسراء في تلك الحادثة القديمة.

الـدليل الرابـع: قولـه تعـالى: "﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة: ٧٨]

ووجه الاستدلال: أن هذه الآية ذكرت حصول اللعن مرتين على بني إسرائيل، وهذا يتوافق مع حصول الإفسادين من بني إسرائيل، ويتوافق أيضًا مع ما ذكره جمهور المفسرين وعامة المؤرخين من أن الفساد الأول كان بعد عهد داوود، والثاني بعد عيسى، عليهما السلام.

يقول ابن تيمية في آية الإسراء: "وهم معترفون بأن بيت المقدس خرب مرتين؛ فالخراب الأول: لما جاء "بُختنَصَّر" وسباهم إلى بابل وبقي خرابًا سبعين سنة، والخراب الثاني: بعد المسيح بنحو سبعين سنة، وقد قيل: هذا تأويل قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾"(٧٢).

المناقشة:

وقد نوقشت هذه الأدلة بأنها من قبيل الاجتهاد التفسيري القابل للخطأ، لا سيما وأن كثيرًا من مواقف اليهود يَصِفُهم فيها القرآن الكريم بالعمى والصمم.

الإجابة:

وأجيبَ عن ذلك بالتسليم بأن هذا النوع من تفسير القرآن بالقرآن هو من الاجتهادي لا القطعي، لكن هذا لا يمنع من الاحتجاج به؛ ذلك أنه يكفي في هذا الأمر حصول غلبة الظن بصواب هذا الربط، ويُقَوي صحةَ هذا الربط بين الآيات ما يلي:

١- صدوره من أئمة التفسير قديمًا وحديثًا؛ كقتادة، وابن عاشور، والشنقيطي، والأخير يُعَد من أشهر وأبرز المعتنين بهذا اللون من التفسير، ومِن أعلمهم به.

٢- الناظر في هذه الآيات يجد جملة من صور التشابه؛ فمن ذلك: ذكر العمى والصمم مرتين، وذكر اللعن مرتين في المائدة، وهذا يلتقي مع التنصيص على المرتين في سورة الإسراء. وأيضًا: التنصيص على البعث في آية الأعراف المشابه لآية الإسراء. وأيضًا التنصيص على المسجد في آية البقرة المشابه لآية الإسراء. وأيضًا التهديد بالعذاب في سورة الأعراف المشابه للتهديد في الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾.

٣- أن هذا الربط ليس بين آيتين فحسب، بل مجموعة من الآيات.

يُضاف إلى هذا: كون هذا الاتجاه هو الوحيد المعتمِد على جملة من الآيات القرآنية. وقد تقرر في قواعد التفسير: أن القول الذي تشهد له آيات أخرى مُقدَّم على غيره(٧٣)، والأصل في هذه القاعدة قول

الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ [الزمر: ٢٣]، فحَملُ آية الإسراء على هذا المعنى يجعل الآيات الكريمات متشابهات، يُفسِّر بعضها بعضًا، بخلاف غيره الذي قد يؤدي إلى التنافر بين الآيات لا التشابه.

الدليل الخامس: أن هذا القول ممَّا انعقد عليه الإجماع، وقد استفيد حصول هذا الإجماع من قول الطبري: "وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا"(٧٤). وإذا كانت المرة الثانية بسبب قتل نبي الله يحيى فقطعًا كانت الأولى قبلها.

والواقع أن هذا الإجماع لم يقتصر على زمن السلف الصالح، بل امتدَّ للمفسرين بعدهم، فلم يقع خلاف إلا في القرن الهجري الماضي.

المناقشة:

نوقش هذا الدليل بأنه من قبيل الإجماع السكوتي، وهو مختلَف فيه(٧٥).

الإجابة:

أجيبَ عن ذلك بأن هذه الصورة خارجة عن محل النزاع؛ وذلك أنه إذا اشتهر القول في زمن السلف، وتكرر السكوت من المجتهدين، بل سار مَن بعدهم على هذا القول صراحةً، فيكون حجة، ويُلحَق بالإجماع الصريح(٧٦).

ويؤكد صحةَ هذا الإجماع: تواترُ القول بكون آية الإسراء تتحدث عن أمر تاريخي كان قبل الإسلام، وإن خفي التواتر عن بعضهم.

يقول ابن تيمية: "بل وكثير من علماء المسلمين الأكابر لا يعلمون ما هو متواتر عند أهل الكتاب، بل وعند غيرهم من علماء المسلمين، مثل: خراب بيت المقدس مرتين، ومجيء بختنَصَّر إلى بيت المقدس، والله سبحانه قد ذكر في القرآن المرتين..."، فذكر آية الإسراء(٧٧).

الدليل السادس: أن الآية الكريمة بيَّنت أن المسجد الأقصى سيُخرَّب مرتين، وهو إنما خُرِّب –هاتين المرتين– على يد الفرس والرومان، وهذا باعتراف أهل الكتاب أنفسهم(٧٨). بل هو المعروف المشهور عند كافة المؤرخين من مسلمين وغير مسلمين. يقول الأستاذ دروزة: "والضربتان الأخيرتان ذُكِرتا في مدونات يهودية ويونانية ورومانية قديمة أيضًا"(٧٩). فتضافر على هذا القول: النقلُ، والإجماع، والتاريخ.

وقد اعتُرِض على هذا القول بأن سياق الآيات لا يُساعد عليه؛ لِما يلي:

١- الذهاب لهذا القول لا يظهر فيه فائدة التحديد بالمرتين، ولا يظهر فيه وجه الصلة بين الحديث عن إفساد بني إسرائيل وبين أمة الإسلام.

٢- أنه بحسَب هذا القول فإن المبعوثين قوم كفار، وهو لا يناسب وصف "عباد" في الآية؛ إذ هو وصف تشريف، لا سيما وقد أضيف إلى الله!

٣- أنه بحسب هذا القول فالمبعوثون في المرة الأولى غير المبعوثين في الثانية، وهو خلاف ظاهر الآية.

٤- المتأمل لسورة الإسراء يجدها قد ربطت الإفسادين بحق أمة الإسلام؛ ممَّا يعني أنهما حصلا في ظل الإسلام.

وأجيب عن الأول: بأن ذِكر المرتين مطابق لِما حصل فعلًا من بني إسرائيل، وهو أمر أُخبروا به قبل وقوعه؛ ليحذر منهم أولو الألباب ولا يقعوا في الإفساد، وهما مرتان بلغ فيهما بنو إسرائيل مبلغًا عظيمًا من الإفساد، وعوقبوا بعقوبتين هما أشد ما يكون من العقوبة، وكان من حكمة ذلك أيضًا: أن يحصل إعلام للنبي عليه الصلاة والسلام بما حصل لبني إسرائيل بشكل محدد يتضمن قدرًا من التفصيل؛ ليكون معجزة له بإخباره بأمر غيبي مطابق لِما عند أهل الكتاب، فتقوم له الحجة عليهم وعلى غيرهم، بخلاف ما لو جاء الخبر بشكل عمومي لا تحديد فيه بالمرتين، وبدون تفصيل، فلن يظهر في الأمر إعجاز وبرهان على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام. ثم إن التناسب بين الآيات في غاية الظهور على هذا القول؛ يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى لما شرح ما فعله في حق عباده المخلصين -وهو الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيتاء الكتاب لموسى عليه الصلاة والسلام-، وما فعله في حق العصاة والمتمردين، وهو تسليط أنواع البلاء عليهم؛ كان ذلك تنبيهًا على أن طاعة الله توجب كل خير وكرامة، ومعصيته توجب كل بلية وغرامة، لا جرم أثنى على القرآن، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]"[٨٠].

فالآيات ظاهرة الانتظام والتناسب؛ فبعد أن ذكر الله منته على بني إسرائيل بإنزال الكتاب هدايةً لهم، أوضح تعالى أنهم ما اهتدوا بهداه، بل ضيعوه، فحقَّ عليهم العقاب الشديد، وبعد ذلك جاءت الآيات تنفيسًا على المؤمنين من أثر القَصَص المهولة التي قُصت عن بني إسرائيل، وما حلَّ بهم؛ ممَّا يثير في نفوس المسلمين الخشية من أن يحصل لهم مثلُ ما أصاب أولئك، فأُخبروا بأن في القرآن ما يعصمهم عن الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل، وفيه النجاة من العقوبة لمن تمسَّك به.

ولهذا لو كانت العقوبتان لم تَحلَّا بعدُ في بني إسرائيل، أو لم تَحلَّ الثانية منهما، فلن يبلغ الأمر من الموعظة مبلغها في نفوس المسلمين[٨١]. ثم إن عادة القرآن: الوعظ بالأمم السابقة، وليس الوعظ بعقوبة لن تحلَّ إلا بعد قرون من نزول القرآن الكريم.

وأجيب عن الثاني: بأن وصف "عباد" لا يتضمن بالضرورة تشريفًا؛ فقد ذكره الله في آيات متعددة خاليًا تمامًا من وصف التشريف؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، فإن قيل: تكون للتشريف إذا كانت مضافة. فالجواب: أنها في آية الإسراء ليست مضافة أصلًا، وإنما جاء السياق ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ مستعمِلًا حرف اللام الدال على الملكية؛ ليبين –والله أعلم– أنهم عباد مملوكون لله، سلطهم على بني إسرائيل على وَفق ما تقتضيه حكمته تعالى[٨٢]. وعلى التسليم بوجود إضافة ما، فالآيتان الأخيرتان لفظ العباد مضاف ولا يوجد تشريف، والآيات في هذا عديدة.

وأجيب عن الثالث: بأن الضمير عائد من حيث اللفظ لا المعنى، على حد قولهم: عندي درهم ونصفه[٨٣]. وبعض النحاة يُعبِّر فيقول: عائد على نظير المذكور[٨٤]. وبالجملة فهو أسلوب ثابت كثير في كلام العرب[٨٥]. ولعل الحكمة من هذا الاستعمال في هذا الموضع من الإسراء: أنه ليس المقصود أعيان المبعوثين؛ فاكْتفي بالجنس فأعاد عليه الضمير.

وأجيب عن الرابع: بأنه لا صلة للإفسادين بأمة الإسلام؛ فالنص صريح في نسبة ذلك لبني إسرائيل، ولا يوجد قرينة على جعل الإفسادين تحت ظل أمة الإسلام، وإنما المراد من أمة الإسلام أخذ العظة والعبرة لئلَّا يحلَّ بهم ما حلَّ ببني إسرائيل إن هم لم يعملوا بكتاب ربهم.

المطلب الثاني: الاتجاه الثاني: إحدى المرتين قبل الإسلام، والثانية ما نعيشه الآن.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن إحدى المرتين قبل الإسلام، والثانية ما نعيشه الآن، وينقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى قسمين:

القسم الأول: من يرى أن الخطاب في الآية لبني إسرائيل، وفيه البشارة بالنصر على اليهود، وتفصيل قولهم على النحو التالي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المرة الأولى من الإفساد والعقوبة قد حصلت، وذلك على يد البابليين، وأما الثانية فهي ما نعيشه الآن من إفساد بني إسرائيل في الأرض المقدسة، وأن إخراج المسلمين لهم منها هو ما ننتظره، ولما يقع. وهو رأي عبد الكريم الخطيب[٨٦]، وسعيد حوَّى[٨٧]، والمكي الناصري[٨٨]، ومصطفى مسلم، ونسبه لكثير من المفسرين![٨٩].

أدلة هذا الرأي:

استدلَّ هذا الفريق بدليل نقلي، وما رأوه قرائن في سياق الآية:

والدليل: قوله تعالى: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٣-١٠٤].

ووجه الاستدلال من الآية ما ذكره المكي الناصري: "وفسر المرة الثانية بعدها في نفس السياق بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾، وهكذا يكون لفظ ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في الموضعين معًا هنا وهناك بمعنى المرة الثانية، ويكون معنى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي: المرة الثانية، لا بمعنى القيامة والدار الآخرة كما فسرها البعض هنا بالخصوص. وكلمة ﴿لَفِيفًا﴾ الواردة في قوله تعالى هنا: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ يراد بها في اللغة: الجماعات المنتمية إلى أصول مختلفة، والأخلاط من الناس، وهذا المعنى أصبح لاصقًا باليهود منذ حل بهم عهد الجلاء، وتفرقوا في البلاد للابتلاء"(٩٠).

وقال سعيد حوَّى في معنى: ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾: "كل الأرض متفرقين، فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم جميعًا إلى فلسطين"(٩١).

وأجيب عنه بما يلي:

الأول: المراد بوعد الآخرة في آخر سورة الإسراء هو وعد يوم القيامة؛ ذلك أن كلمة الآخرة في سورة الإسراء وردت خمس مرات أريد بها جميعًا القيامة، فحَملُ كلمة الآخرة في آخر سورة الإسراء على ما تكرر أَولى من حمله على ما ورد مرة واحدة، ولا سيما أن الأصل في القرآن أنَّه إذا أُطلقت كلمة الآخرة فإنما يراد بها يوم القيامة، والقاعدة التفسيرية –إعمال الأغلب في القرآن، وتقديم المفهوم الجاري في استعماله أولى(٩٢)– تشهد لذلك.

ثم إن تفسيرها بيوم القيامة محل اتفاق بين المفسرين لا يُعرف بينهم خلاف في ذلك(٩٣).

الثاني: أن تفسير ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ بكل الأرض: مجانب للصواب، بل الظاهر أنها الأرض المشار إليها قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي أرض مصر، أو الشام؛ قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٧ – ٥٩]، وخيرُ ما يُفسر به القرآنُ: القرآنُ، ولا مانع من حمل الآية على كليهما(٩٤).

ونسب الماتُريدي إلى قوم لم يُسَمِّهم أن المراد: تخيير لهم أن يسكنوا حيث شاءوا(٩٥). ولم يقل مفسر قط: إن المراد الأمر بسكناهم متفرقين، سواء أكان أمرًا شرعيًّا أم كونيًّا. وأما قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨] فهو خبر وليس بأمر، ثم هو متأخر عن أمرهم بدخول الأرض المقدسة بقرون(٩٦)، بخلاف ما في آية الإسراء، فهو حديث عمَّا حصل لهم بعد إغراق فرعون.

الثالث: أن تفسير "لفيفًا" بما ذكره أصحاب هذا القول مجانب للصواب؛ فالمراد باللفيف: الجميع، وإنما أُطلق على المحشورين يوم القيامة {لفيفًا}؛ لأنهم يأتون يوم القيامة أخلاطًا فيهم المسلم والكافر، والبر والفاجر(٩٧). يقول الرازي: "{فإذا جاء وعد الآخرة} يريد القيامة، {جئنا بكم لفيفًا} من هاهنا وهاهنا، واللفيف: الجمع العظيم من أخلاط شتى؛ من الشريف والدنيء، والمطيع والعاصي، والقوي والضعيف. وكل شيء خلطته بشيء آخر فقد لففته، ومنه قيل: لففت الجيوش: إذا ضربت بعضها ببعض، وقوله: التفَّت الزحوف ... والمعنى: جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطًا، يعني: جميع الخلق؛ المسلم والكافر، والبر والفاجر"(٩٨)، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[الكهف:٩٩]، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[الواقعة: ٤٩ – ٥٠](٩٩).

الرابع: أنه إن قيل بأن المراد بالأرض جميعُها، فليس فيها قط أن مجيئهم هو مجيء إلى فلسطين؛ فليس في الآية إشارة إلى ذلك، وليس له ما يعضده من أدلة خارجية، بخلاف ما ذهب إليه السلف والمفسرون، فنظائره في القرآن كثيرة جدًّا.

ومن الغريب جدًّا: أن بعض أصحاب هذا القول يرى أن تجميع اليهود في فلسطين الآن من السُّنن القدرية التي لا تتخلف بناء على هذه الآية، وينُزّل عليها هجرة اليهود إلى أرض فلسطين(١٠٠). وإذا كان تفسيرهم للأرض والآخرة واللفيف مجانبًا للصواب، فالارتقاء إلى جعل تجميع اليهود في فلسطين سُنَّة قَدَرية، وربطه بالآية الكريمة: أشدُّ ضعفًا، بل هو من الجناية على النص القرآني؛ فالآية الكريمة كنظائرها القرآنية في أمر بني إسرائيل مع نبي الله موسى بدخول الأرض المقدسة، وتوريثهم إياها آنذاك، فلما طغوا وعتوا بالكفر وقتْل الأنبياء لم يَعُدْ لهم حق فيها، وسلَّط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، وأورث الله الأرض المقدسة أمة محمد عليه الصلاة والسلام. ووجود اليهود الآن وجود زائل مؤقَّت لا يقال عنه: إنه سُنَّة قَدَرية!

وأما ما اعتمده أصحاب هذا القول من قرائن فهي:

القرينة الأولى: أن النظْم القرآني قد غاير بين مرتيَ الإفساد؛ فجعل الأولى بصيغة الماضي، ﴿بَعَثْنَا﴾ ﴿فَجَاسُواْ﴾، أما المرة الثانية فجعلها بصيغة المضارع ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ ﴿وَلِيَدْخُلُواْ﴾، فهذه المغايرة تشي بأن الأولى قد وقعت، والثانية لم تقع، وإلا لم يكن للمغايرة فائدة، وهو ممَّا يُنَزَّه عنه القرآن(١٠١).

وأجيبَ عنه بثلاثة أجوبة: الأول: أن جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ – وهي المرة الثانية– هو مثل الأول بصيغة الماضي، لكنه مُقدَّر، وتقديره: بعثنا، فيكون تقدير النظم: إذا جاء وعد الآخرة بعثنا عليكم عبادًا لنا ليسوءوا وجوهكم، وهذا المحذوف هو ما تعلق به اللام في {ليسوءوا}، ودليل التقدير صدر الآية التي قبلها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾، وخير ما يُفسَّر به القرآن: القرآن(١٠٢). فانتظمت الآيتان بصيغة الماضي.

الثاني: أن التعبير بالمضارع عن أمرٍ ماضٍ معهودٌ في القرآن الكريم، والحكمة من ذلك –والله أعلم– تصوير وقوعه حتى لكأنه يحدث الآن، بل هذا حصل في قصص بني إسرائيل، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وهم إنما قتلوهم قبل نزول الآيات بقرون، ومع ذلك جاء التعبير بصيغة المضارع. فلا عجب من أن يُستعمَل ذلك في آية الإسراء؛ لتصوير شدة التدمير والهلاك الذي حصل لبني إسرائيل، حتى لكأننا نراه الآن رأي العين. وتحويل الكلام من الماضي إلى المضارع وعكسه: داخل في أسلوب الالتفات القرآني، وهو أسلوب قرآني بلاغي. يقول الطوفي عن الالتفات عن الماضي إلى المضارع في القرآن: "فموضعه ما إذا كان بعض أحوال القضية الخبرية مشتملًا على نوع تميز وخصوصية؛ لاستغراب أو أهمية، فيُعدَل فيها إلى المضارع المستعمَل للحال؛ إيهامًا للسامع حضورها حال الإخبار ومشاهدتها؛ ليكون أبلغ في تحققها له"(١٠٣).

الثالث: أن الفعل المضارع لا يتعين أن يكون للمستقبل، بل قد يكون للحال، وعلى مُدعي إرادة الاستقبال إثبات الحجة، بل الأنسب للآية الكريمة أن يكون للحال؛ وذلك لكون آثار التخريب كانت ما تزال باقية إلى وقت نزول القرآن، فلم يُطهَّر المسجد الأقصى بعد المرة الثانية ويعاد بناؤه وتكريمه إلَّا في عهد عمر رضي الله عنه.

وبكل حال فبلاغة التعبير بالمضارع ظاهرة، وليس في ذلك ما يدل على كون الإفساد الثاني لم يحدث بعدُ.

القرينة الثانية: أنَّ ذِكر «بيت المقدس» باسم «المسجد» يشير إشارة واضحة إلى أن المرة الثانية التي يقع فيها من بني إسرائيل هذا الإفساد إنما تكون في العهد الإسلامي، وفي الوقت الذي يكون فيه بيت

المقدس مسجدًا للمسلمين، على خلاف ما كان عليه من قبلُ؛ حيث لم تُشِر الآية الأولى إلى المسجد من بعيد أو قريب[١٠٤].

وأجيب عنه: بأن الآية في غاية الصراحة أن العباد قد دخلوا المسجد مرتين؛ فمعنى الآية الذي لا ينازَع فيه: وليدخلوا المسجد ثانية كما دخلوه في المرة الأولى، فلا بد للضمير من مرجع، وهو هنا المسجد لا محالة، والقاعدة التفسيرية تقول: إذا أمكن رد الضمير إلى مذكور فلا وجه لردها إلى غيره[١٠٥]. وليس بالضرورة أن يُذكر اسم المسجد مرتين ما دام النص واضحًا في المراد، ثم إن المسجد الأقصى كان ولا يزال بهذا الاسم، بما في ذلك حقبة نبي الله سليمان عليه السلام؛ يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (وسأل "سليمان" اللهَ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا يَنهَزُه إلا الصلاة فيه، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه)[١٠٦]. وهو مسجد للمسلمين من أول يوم بُني، ولا يمنع أن يُسمَّى أيضًا ببيت المقدس.

القرينة الثالثة: أن من يدخله المرة الثانية كانوا قد دخلوه قبل ذلك، وإنما كان الدخول الأول في زمن عمر بن الخطاب، والدخول الثاني سيكون للمسلمين لينتزعوه من اليهود[١٠٧]!

وأجيب عن هذا: بأنه يلزم على هذا أن يعود الضمير إلى غير مذكور، فلم يسبق في الآية غير ذكر العباد الكفار، فكيف نعيد الضمير في ﴿ لِيَسُوۤـُٔواْ ﴾ ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ﴾ إلى غيرهم؟ وهو مخالف أيضًا لقاعدة عود الضمير إلى المتحدَّث عنه[١٠٨]؛ فإن الحديث في الآية عن بني إسرائيل وعن المبعوثين عليهم، فلا يصح إخراجه عن هذا السياق إلى من لم يجرِ الحديث عنهم من هذه الأمة.

إن مثل هذه التأويلات تجعل النظم ركيكًا مفكَّكًا أشبه بتأويلات الباطنية.

ثم إننا لا نستطيع الجزم بكيفية تحرير المسجد الأقصى: أتكون بالغلبة والقهر أم بالتسليم كما حصل في دخول عمر؟ والجزم بشيء من ذلك رجمٌ بالغيب، وتحميل للنص ما لا يحتمله؛ فالواجب السكوت عن ذلك، وإيكال العلم به لله تعالى.

القرينة الرابعة: أن الآية تتحدث عن علو كبير لليهود، وهم لم يحصل لهم علو آخر بعد العلو الأول في زمن سليمان عليه السلام، وإنما حصل لهم أكبر العلو في هذا الزمن؛ مما يجعلنا نقول: إنه المراد في الآية الكريمة[١٠٩].

وأجيب عنه: بأنه لا يمتنع أن يكون التمكين الثاني والعلو هو في زمن سليمان عليه السلام[١١٠]. ويمكن أن يقال أيضًا: إن الآية أخبرت بحصول علو لهم، لكن لا يلزم أن يقترن ذلك بحصول دولة لهم، وهم قبل ميلاد المسيح بأكثر من مائة سنة صار لهم استقلال نسبي، بل في فترة الثورة المكابية حصل لهم تمكين عظيم[١١١]، ولو كان لا حول لهم ولا قوة لَمَا حاربوا الرومان زمنًا طويلًا[١١٢]، أما من حيث الفساد

ففي هذه الفترة كان فسادهم هائلًا جدًّا مِن قتل الأنبياء وعبادة الأوثان؛ فحَملُ الآية على أحد الاحتمالين وارد جدًّا.

وعلى التسليم بأنه لم يحصل لهم علو آخر، فلا مانع من أن يكون لهم علو آخر مستقبلاً أعظم ممّا هم فيه الآن، فلا يتعين أن العلو الحالي هو المراد بالآية.

القسم الثاني: من يرى أن الخطاب في أول السياق لبني إسرائيل، ثم تحوَّل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وليس فيه بشارة بالنصر على اليهود، وتفصيل قولهم على النحو التالي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المرة الأولى وقعت قبل الإسلام، وأن الثانية وقعت بعد الإسلام، إلا أنهم يرون أنه حصل في الكلام التفات من مخاطبة بني إسرائيل إلى مخاطبة هذه الأمة. وهو قول محمد أبي زهرة(١١٣)، فمعنى الآية عنده: إذا حصل منكم -يا بني إسرائيل- الفساد الأول، سلَّطنا عليكم عبادًا لنا -وهم جالوت أو البابليون- فأفسدوا وخرَّبوا ودمروا، ثم ينتقل الخطاب لأمة محمد، فيخبر الله عن أمة محمد أنهم يصيرون أكثر عددًا وعُدة، وبعد ذلك يجيء وعد الآخرة فينتصر اليهود على المسلمين، ويستولون على المسجد الأقصى، ويدخلونه بعد أن أخرجهم منه الرومان والمسلمون، وتظهر المساءة على وجوه المسلمين، ثم يخاطب الله المسلمين بأنكم إذا عدتم للتمسك بالإسلام عدنا عليكم بالتمكين، ثم يرجع الخطاب لليهود الذين كفروا بالله وقتلوا الأنبياء بأن لهم جهنم.

يقول أبو زهرة: "ولذلك نذكر رأيًا نميل إليه، وهو أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ويكون في الكلام التفات من خطاب بني إسرائيل إلى خطاب محمد وأصحابه، ورد الكَرة للنبي صلى الله عليه وسلم معناه رد الدولة إليه صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ والنفير: من ينفِر مع الرجل من جند وجيش، وقد كان مع محمد وصحبه الأكرمين الأموالُ من غنائم الحروب والجند الكثيف، والبنون الذين جاؤوا من ذرية المؤمنين". ثم يكمل بقية التفسير: "وليدخلوا -اليهود- المسجد كما دخلوه، أي: ليدخلوه بعد أن أُخرجوا منه؛ إذ أخرجهم الرومان، وأخرجهم المؤمنون، فكان من عهد عمر لأهل إيلياء ألا يدخل عليهم اليهود، وقد دخلوه أول مرة حتى أفسدوا فيه، فأخرجهم منه على أيدي النصارى والمسلمين ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ التتبير: التخريب، أي: مدة علوهم وغلبهم يخربون كل قائم، ويحرقون ويدمرون مدة علوهم وبقائهم في أرض الله المقدسة، ما بقُوا فيها"(١١٤).

أدلة هذا الرأي:

بنى أبو زهرة رأيه هذا على ما رآه قرائنَ في السياق:

وقبل أن أذكر هذه القرائن لا بد من التنبيه على خطأ أساسي في هذا القول، وهو ادعاء تحوُّل الكلام من بني إسرائيل إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتسمية ذلك التفاتًا[١١٥]. فهذا الادعاء خطأ؛ لأن من شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدًا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه[١١٦]، وما صنعه الشيخ مخالف لذلك؛ حيث نقل الضمير إلى أمر آخر، وقد أوقعه ذلك في مخالفة أصلٍ تفسيري، وهو: مراعاة السياق[١١٧]؛ لأنه لم يجرِ ذكر لأمة محمد في هذا السياق، إنما الحديث كله في بني إسرائيل. والمقرر في قواعد التفسير: أن القول المبني على مراعاة السياق أَولى ممَّا خالفه[١١٨]؛ لِما يترتب على المخالفة من الركاكة وتفكيك النظم[١١٩].

وخطأ آخر، وهو: أنه يلزم على كلامه أن يكون قد سبق لليهود نصرٌ على محمد صلى الله عليه وسلم سابقٌ، وأنه بعد هذا النصر صار لمحمد صلى الله عليه وسلم كَرَّة على اليهود لما صار عنده من المال والجند الكثير؛ لأن الجملة في قوله تعالى: ﴿ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ تستلزم أن يكون قد سبق لليهود نصر على المسلمين، قبل أن يعود المسلمون فينتصروا عليهم.

ومعلوم أن هذا لم يحدث قط؛ فلم يحصل لليهود قطُّ أي نصر على المسلمين إلا في هذه السنوات الأخيرة؛ ممَّا يدل على خطأ الشيخ في ادعاء الالتفات.

أما ما ذكره أبو زهرة من القرائن فهي:

القرينة الأولى: قول أبي زهرة: "الأمر الأول: تحقيق الفساد من بني إسرائيل مرتين، وأنه لا يتحقق الفساد في المرة الثانية إلا بدخولهم المسجد كما دخلوه أول مرة، وأنهم ما أُخرجوا منه في المرة الأخيرة إلا في عهد الرومان"[١٢٠].

وأجيبَ عنه: بأن الضمائر في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عائدة للمبعوثين لمعاقبة بني إسرائيل، ودخولهم مَظهر من مظاهر العقوبة التي حصلت على بني إسرائيل بعد فسادهم، وليس هو مَظهرًا من مظاهر فساد بني إسرائيل، ولا دخولُ بني إسرائيل للمسجد شرطًا لعقوبتهم؛ وذلك لأن بني إسرائيل كانوا في الأرض المقدسة، وكان المسجد تحت سلطانهم، يدخلونه كل يوم، وكان أهل التقوى منهم يتعبدون لله فيه. وإنما أخبرهم الله بأن هذا المسجد المعظَّم سيتدنَّس من أعدائكم بسبب فسادكم.

وأمر سكنى بني إسرائيل في الأرض المقدسة، وتجديد بنائه في زمن سليمان، وبقائه تحت سلطانهم: أمر أشهر من أن يُدلَّل عليه.

القرينة الثانية: قول أبي زهرة: "إنه لا يمكن أن يكون المخاطبون اليهود؛ لأنهم ما ساءت وجوههم

بدخول المسجد، بل ساء وجوه غيرهم"[١٢١]!

وأجيب عنه: بعدم التسليم؛ فوجوه اليهود سِيئَتْ أعظم المساءة بطردهم من الأرض المقدسة في زمن الرومان، بل وقبل ذلك في زمن البابليين، وقبله في زمن جالوت، وإذا كانوا قد شكَوا لنبيهم بأنهم أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم زمن جالوت –وفي ذلك أعظم المساءة– فإن ما حصل لهم بعد ذلك في زمن البابليين ثم الرومان أدهى وأمرُّ وأعظم مساءةً.

القرينة الثالثة: قول أبي زهرة: "قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ لا يمكن أن يكون لليهود، إنما يكون للمسلمين؛ لينشطوا من عقال، وليرتفعوا بعد عزة، وليُذهبوا المذلة"[١٢٢].

وأجيب عنه من وجهين:

الأول: الخطاب في الآية لبني إسرائيل، وهم المتحدَّث عنهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولم يجرِ ذِكر قط لأمة محمد. والقاعدة التفسيرية في باب الضمائر تقول: الواجب إعادة الضمير للمتحدَّث عنه[١٢٣].

الثاني: أن بني إسرائيل قد خوطبوا بنظير هذا الخطاب الذي يؤمّلهم بهلاك العدو، والاستخلاف في الأرض؛ قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. ولا شك أن هذا مظهر بارز من مظاهر الرحمة الإلهية، ثم إن ترجية الرحمة قد جاء بها عامة الأنبياء لأممهم، فليس بنو إسرائيل مُستثنَين من ذلك. قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]، وقد وصف الله كتابه التوراة بالرحمة، فقال: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف: ١٢]، والله تعالى خاطبهم بذلك حثًّا لهم على سلوك الطريق المستقيم، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا؛ فقول الشيخ:

إن هذا الخطاب لا يمكن أن يكون لبني إسرائيل: مخالف لظواهر الآيات القرآنية، لا سيما المتعلقة ببني إسرائيل.

القرينة الرابعة: يقول الشيخ أيضًا: "﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۚ﴾ الخطاب أيضًا للمؤمنين، أي: وإن عدتم بالإيمان والصبر وإخلاص النية والجهاد لاستنقاذ الأرض الطاهرة، عُدْنا إليكم بالنصر والتأييد، والله معكم ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم"(١٢٤).

وأجيب عنه بما يلي:

الأول: أن تفسير الآية بما ذكره الشيخ خطأ؛ فإن هذا التركيب القرآني إنما يَرِد للتهديد، كما في قول الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الأنفال: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ فظاهر من الآيتين أنَّ عود المشركين لمحاربة الله ورسوله يترتب عليه عود الله عليهم بالعقوبة، فكذلك آية الإسراء.

الثاني: أن العودة للإيمان والصبر والإخلاص مستفاد من الجملة السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ﴾؛ ذلك أن رحمة الله لبني إسرائيل ولغيرهم مشروطة بالتقوى والإيمان؛ قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فلو كانت جملة: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۚ﴾ يُراد بها العودة للإيمان والتقوى لكانت تكرارًا لجملة ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ﴾، والمقرر في قواعد التفسير: أن التكرار خلاف الأصل، وأن التأسيس مُقدَّم على التأكيد(١٢٥).

وممَّا يدل على أن الخطاب لبني إسرائيل، وأنه تحذير لهم: قول الشيخ أبي زهرة نفسه: "ثم ذكر أن اليهود الذين كفروا بالله وقتلوا الأنبياء لهم جهنم، فقال تعالت كلماته: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾"(١٢٦).

ووجه ذلك: أن التنصيص على اسم الكافرين، وعدم الاكتفاء بالضمير: هو من باب الإظهار في موضع الإضمار(١٢٧)، ويقتضي دخول ما قبله في اسم الكافرين، ولا شك أنه لا يمكن بحالٍ دخولُ أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما يناسب كفرة بني إسرائيل، وهو ما أقرَّ به الشيخ نفسه؛ ممَّا يدل على أنهم هم المخاطبون في صدر الآية في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۚ﴾، وليس أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وممَّا يدلُّ على ضعف قول أبي زهرة: أنه يترتب عليه تشتيت شديد لمرجع الضمائر. ووجه ذلك: أنه تارةً يعيد الضمير إلى العباد المبعوثين من البابليين ونحوهم، وتارة إلى بني إسرائيل، ويصيرون هم المبعوثين، وتارة يعيد الضمير إليهم لكن يصيرون مبعوثًا عليهم، وتارة يعيد الضمير إلى أمة محمد، على أساس أنهم من تُعاد لهم الكَرة!

وسأذكر الآن تفسيره لكن بالإظهار لا بالإضمار؛ ليتضح حجم تشتيت مرجع الضمير.

فإذا جاء وعد العقوبة الأولى بعثنا على بني إسرائيل أممًا كافرة -جالوت أو البابليين أو غيرهم- فيقتلون الرجال والنساء والأطفال من بني إسرائيل، ولا يبقون أحدًا، ثم رددنا لأمة محمد الكَرة على اليهود، وأمددنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالرجال والأموال، إن أحسنتم -يا أمة محمد- فيعود نفع ذلك لكم يا أمة الإسلام، وإن أسأتم -يا أمة محمد- فمغَبَّة ذلك عائدة عليكم يا أمة محمد، فإذا جاء وعد الآخرة بعد أن أسأتم -يا أمة محمد- فسينتصر عليكم بنو إسرائيل، وستسوء وجوهكم يا أمة محمد، وسيدخل بنو إسرائيل المسجد مرة ثانية، وسيخرب اليهود كل قائم، ويحرقون ويدمرون مدة علوهم وبقائهم في أرض الله المقدسة، ما بقُوا فيها. عسى ربكم أن يرحمكم -يا أمة محمد-، وإن عدتم للإيمان عدنا عليكم بالنصر، وجعلنا جهنم لكفرة بني إسرائيل(١٢٨).

وهكذا صار العباد المبعوثون تارة أممًا كافرة، وتارة بني إسرائيل.

والداخلون للمسجد تارة أمم كافرة، وتارة بنو إسرائيل.

وصار المبعوث عليهم تارة بني إسرائيل، وتارة أمة محمد.

والمقرر في قواعد التفسير: أن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها(١٢٩). فكان المتعيَّن جعل العباد المبعوثين جنسًا واحدًا، وجعل المبعوث عليهم جنسًا واحدًا هم بنو إسرائيل؛ لئلا يصير النظم ركيكًا مفكَّكًا، وهو ما يُنزَّه عنه القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الاتجاه الثالث: كلا المرتين تكونان في الإسلام، وأن الخطاب لبني إسرائيل.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن كلتا المرتين تكونان في الإسلام، وأن الخطاب لبني إسرائيل، وفيه البشارة لهذه الأمة بالنصر على اليهود، ثم انقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى قسمين:

القسم الأول: من يرى أن المرة الأولى قد حصلت في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، والثانية ما نعيشه الآن. وتفصيل قولهم على النحو التالي:

يرى هؤلاء أن ما جرى للنبي عليه الصلاة والسلام مع قبائل اليهود في المدينة من صراع انتهى بقتل بعضهم وطرد بعضهم: هو ما ذكره الله تعالى في المرة الأولى؛ فهم العباد ذوو البأس الشديد، وأما الثانية

فهي ما نعيشه الآن من صراع مع اليهود على أرض فلسطين، وسينتهي أيضًا بالانتصار عليهم. وهذا رأي الشعراوي(١٣٠)، وفضل حسن عباس(١٣١)، وصلاح الخالدي(١٣٢).

أدلة هذا الرأي:

استدل هؤلاء بمجموعة من القرائن المستفادة من النص.

القرينة الأولى: أن {إذا} في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ﴾ ظرف لما يُستقبل من الزمان، كما تقول: إذا جئتَني أكرمتُك. وعليه فيكون مصداق الآية إنما يتحقق بعد نزول الآية لا قبله(١٣٣).

وأجيب عنه من وجهين:

الأول: أن هذا الأمر مستقبَل بالنسبة للقضاء، وبالنسبة لما أُخبر به اليهود في التوراة ومن قِبَل أنبيائهم، وليس بالنسبة للآية؛ فاليهود أخبروا في التوراة بأنه سيقع منكم إفساد وستحلُّ بكم عقوبات، وفي الوقت الذي أخبروا به بذلك لم تنزل عقوبات، وإنما هو أمر مستقبلي؛ فلذا استعمل كلمة إذا. وليس المراد بالنص القرآني أنه ستحل عليكم العقوبات بعد نزول هذه الآية.

وربما أوقع هؤلاء الأجلَّاءَ في الوهم ظنُّهم أن المراد بالكتاب هو القرآن. وليس هذا الظن بصحيح؛ فلم يقل مفسر قط: إن المراد بالكتاب: القرآن؛ فالكتاب هنا هو الكتاب المذكور قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [الإسراء:٢]، وقد قال بعض المفسرين: إنه اللوح المحفوظ، لكن سواء قلنا: إنه التوراة أو اللوح المحفوظ، فالمراد من النص القرآني: أن بني إسرائيل حين خوطبوا بذلك في التوراة –قبل الإسلام– لم يكن الأمر قد حصل، فخوطبوا خطاب المستقبل.

الثاني: أن الظرف "إذا" قد يأتي بعده ما يكون في الماضي حقيقة، لا ينصرف إلى المستقبل معنًى، وهو موجود في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ ﴾ [الكهف: ٩٣]، فيمكن أن تُحمل آية الإسراء على هذه النظائر، فلا يتعيَّن أن يكون ما بعد إذا دالًّا على الاستقبال، بل يبقى الفعل على الماضي حقيقة.

وعلى التسليم بأنه أمر مستقبل متعلق بهذه الأمة، لكن هذا لا يدل بالضرورة على أن ما يحصل الآن في الواقع هو المراد بالكَرَّة الثانية، فربما يكون في مستقبلٍ لم يحِنْ أوانه.

القرينة الثانية: أن الآية الكريمة استعملت البعث، وهي تدل على الخير والرحمة، وهو ما يناسب حال النبي عليه الصلاة والسلام لا حال البابليين والرومان(١٣٤)، وكلمة {بعثنا} في القرآن حيث وردت إنما تكون في سياق المدح والثناء، والمبعوثون يكونون رسلًا وأنبياء؛ ممَّا يدل على أن المبعوثين في آية الإسراء ليسوا كفارًا(١٣٥).

وأجيب عنه: بأن البعث في القرآن الكريم على نوعين:

النوع الأول: البعث الكوني القَدَري، وهو متعلق بالربوبية، ولا يلزم فيه محبة ولا رضا. ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[الأنعام:٦٠]

النوع الثاني: البعث الشرعي، وهو متعلق بالألوهية، ويلزم منه المحبة والرضا(١٣٦)، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ [يونس: ٧٤]، والذي في سورة الإسراء هو من الكوني لا الشرعي؛ فالشرعي يقترن معه صريح النبوة أو الرسالة ونحوهما، ثم إن الذي في الإسراء مقترن بالتدمير والقتل المستفاد من الجوس والتتبير، فكان الأَولى به الكوني لا الشرعي، يضاف إلى ذلك مشابهة البعث هنا ببعث العذاب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾[الأعراف: ١٧٦].

وقولهم: إن كلمة {بعثنا} تكون في سياق المدح، غلط؛ فقد تكون لغير ذلك. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢].

وهم إنما بُعثوا ليُعذبوا، وما جاء في سياق مدح ولا ثناء، وإنما سياق الربوبية وإنفاذ الحكم.

القرينة الثالثة: أن كلمة عباد لا تُطلَق إلا على المؤمنين، وما جاء من إطلاقها على الكفار فهو في حال الآخرة فقط(١٣٧).

وأجيب عنه: بعدم التسليم، بل قد ذُكر في القرآن العباد مرادًا بها المؤمنون والكفار في حال الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقد سبق بيان هذا(١٣٨).

واعتُرض على هذا الجواب بأنه وإن وردت كلمة عباد في غير المؤمنين، لكن الغالب إطلاقها عليهم، كما أن الغالب إطلاق كلمة عبيد على الكفار(١٣٩)، فيكون حمل الآية على المؤمنين أولى، بناءً على قاعدة الأغلب، المتقدِّم الإشارةُ إليها(١٤٠).

وأجيب عنه: بعدم التسليم أيضًا؛ فقد جاءت كلمة عباد منكَّرة أو مضافة إلى الله يُراد بها المؤمن والكافر أو الكافر فقط في أكثر من أربعين موضعًا(١٤١)، بل الغالب أنه إذا أراد بهم المؤمنين أن يقيَّد ذلك

بالإيمان أو الصلاح ونحو ذلك[١٤٢]، فلو كان الأصل في إطلاق العباد أنهم المؤمنون لما احتيج إلى تقييد ذلك في مواضع كثيرة.

ومِمَّا يؤيد أنه ليس المراد بآية الإسراء خصوص المؤمنين: ما جاء في قراءة أخرى: {بعثنا عليكم عبيدًا لنا}[١٤٣]. وهم يقولون: إن العبيد تطلق على الكفار غالبًا. ومن القواعد المقررة في التفسير أنه يُفاد من القراءة الشاذة في توضيح المعنى[١٤٤]، وأن اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه[١٤٥].

القرينة الرابعة: أنه استعمل كلمة "لنا" في السياق القرآني، وهي تدل على مزيد التكريم الرباني والتشريف، وهو ما يناسب النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة، ولا يناسب أقوامًا كفارًا[١٤٦].

وأجيب عنه: بعدم التسليم؛ فالظاهر أن المراد بذلك: أن هؤلاء العباد مملوكون لنا، يتصرفون وفق إرادتنا الكونية، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [الليل: ١٣]. فالمراد: أنها لنا ملكًا وتصرُّفًا[١٤٧]، فلا يلزم وجود تشريف ولا تكريم، ولو أراد التكريم أو التشريف لوصف العباد بالصلاح أو الإيمان ونحو ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

القرينة الخامسة: أن كلمة "جاسوا" تنطبق على احتلال الصحابة لديار اليهود وتدميرها، وإزالة كل مظاهر الفساد اليهودي في بلاد الحجاز[١٤٨].

وأجيب عنه: بعدم التسليم، بل هذه اللفظة أقرب لأن تكون دليلًا على بطلان هذا الاتجاه؛ لأنه سبق في التمهيد أنَّ "جاسوا" تدل على الإفساد، وتتبُّع الناس لقتلهم، وهذا بعيد كل البعد عن هدي النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة في معاركهم بعامة، وفي قتالهم لليهود بخاصة؛ فإن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقتل بني قينقاع وبني النضير بل أجلاهم، وأقرَّ يهود خيبر على أرضهم مقابل خراج، ولم يعيثوا فيها فسادًا، وإنما قتل النبي عليه الصلاة والسلام رجال قريظة، ولم يقتل النساء والصبيان، ولم يتتبع اليهود في دورهم لقتلهم، وإنما كان هذا من صنيع البابليين والرومان، وأما هذه الأمة فأعفُّ الناس قتلة، وأبعدهم عن الفساد؛ فلا يصح اتهامهم بالجَوس في الأرض.

القرينة السادسة: أن الله تعالى خاطب اليهود في الكَرَّة الثانية، فقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، وهذا ينطبق أحسن الانطباق على اليهود اليوم؛ فالأموال تتدفَّق عليهم من أقطار الأرض، وعلى ما أرادوا من صعبه أو سهله، وبنين مهاجرين من شتى الأقطار، ينتجون بحماسهم وصلاحيتهم لبناء دولتهم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، ولم يكن اليهود في يوم ما أكثر نفيرًا وناصرًا منهم

اليوم، ولم يتمتَّع اليهود في تاريخهم ولا أمَّة في الأرض غيرهم بمثل ما يتمتَّعون به من كثرة الناصرين لهم، النافرين لنجدتهم(١٤٩).

وأجيب عنه بما يلي:

- أن ما حصل لبني إسرائيل في زمن داوود وسليمان أعظم ممَّا هم عليه الآن، ويكفي وصفه تعالى بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[النساء:٥٤]، فحَمْلُه على ما حصل في ذلك الزمان أولى.

- أن ظاهر الآية أنهم أكثر عددًا من عدوهم، والواقع الآن أنهم أقل من المسلمين، ثم إن ظاهر الآية أن عددهم ناتج عن التوالد، فصرف المعنى إلى هجرات اليهود من أصقاع الأرض صرفٌ للَّفظ عن ظاهره بلا مسوِّغ، وهو ممنوع على ما تقرر في قواعد التفسير(١٥٠).

- أنه سبق -في التمهيد- أن النفير: القوم يجتمعون لمحاربة عدوِّهم؛ فتأويل ذلك إلى من يناصرهم خلاف حقيقة مدلول اللفظ، ولو أريد لعبَّر بالنصير لا النفير؛ فهو تعبير شائع في القرآن الكريم. وممَّا يُستأنس به أنه مذكور في كتبهم أن عدد مقاتليهم في تلك الحقبة التاريخية ثمانمائة ألف، وهو أكثر من عدد مقاتليهم الآن(١٥١).

وبعدُ، فإذا كانت هذه هي القرائن التي اعتمدها أصحاب هذا القسم -وهي كما ترى- فثمة قرائن في السياق تدل على إبطال قولهم، وهي على النحو التالي:

- أنه بناءً على تفسيرهم فإن المراد بالأرض: المدينة النبوية، وهذا التفسير خطأ، مخالف لقول المفسرين قاطبة؛ فإنهم على أن المراد بالأرض: الشام أو مصر؛ لِما جاء من الآيات الكثيرة في ذلك، وقد سبقت الإشارة إليها(١٥٢)؛ فقولهم مخالف للإجماع، ومخالف لنظائر هذه الآية الكريمة في مفردة الأرض.

- أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ امتنان من الله تعالى لهم بذلك لما تابوا من الإفساد والطغيان(١٥٣)؛ ولهذا جاء التعقيب القرآني بأن جزاء إحسانكم عائد إليكم، أما انتصار اليهود على المسلمين في العصر الحاضر فلم يكن ناتجًا عن إيمان ولا توبة؛ ممَّا يدل على أن الآية تتحدث عن انتصار تاريخي لهم لما كانوا مفضَّلين على الأمم، فلا يناسب تنزيل الآية على انتصار حادث وهم في أعلى درجات الكفر والضلال.

- أن فساد اليهود في المدينة النبوية عظيم، لكنه أقل بكثير من فسادهم بعد زمن سليمان عليه السلام؛ إذ بلغ آنذاك حد نصب الأوثان وعبادتها من دون الله، وقتل خلق من الأنبياء، وقد وُصف ذلك في كتبهم المقدسة(١٥٤)؛ فتنزيل الآيات على أعظم الفسادين أولى.

- أنه لم يحصل لليهود علو يُذكر في المدينة، بل كانوا مضطرين للتحالف مع الأوس والخزرج، ولربما قتل اليهودي ابن عمه لكونه مع الحِلف الآخر، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه، فأيُّ خزي هذا؛ أن يقتل قريبه نصرة لوثني؟! وما أبعد هذا عن العلو! ولكونهم في حالة مشينة بعيدة عن العلو كانوا إذا حلت بهم نكبة من قبائل المدينة استفتحوا عليهم بنبي الله تعالى، لكن لما بُعث كفروا به كما حكى الله ذلك في كتابه.

- أن القتل والتدمير الذي حصل لبني إسرائيل في الأرض المقدسة، واستباحة المسجد الأقصى: أشد فظاعة ممَّا حصل لهم في المدينة، بل لا وجه مقارنة بينهما؛ فقد بلغ قتلاهم -في قتل الرومان لهم فقط- مليون قتيل! وهم إنما يذكرون في كتبهم وصلواتهم نكبتهم مع البابليين والرومان، وقلَّ أن يذكروا ما حصل لهم في زمن النبوة(١٥٥)؛ لأن تلك أشد وأنكى وأبشع؛ فكان الأَولى حمل العقوبة في الآية على ما هو أشد لا ما هو أخف.

وأخيرًا؛ فإنه من المحال أن تتحدث الآية عن أمر متعلق بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم لا يأتي شاهد له من السنة، ولا من كلام الصحابة رضي الله عنهم، مع أنهم أعلم الناس بمراد الله تعالى، وهم من عاصروا التنزيل، وأعلم الناس بتنزُّلاته ومقاصده.

إن من قال بهذا القول من المعاصرين وقع -من حيث لا يشعر- في التفسير بالرأي المذموم؛ حيث لم يراعِ من خوطب بالقرآن أول مرة، وفي هذا يُبيِّن ابن تيمية أحد أسباب الخطأ في التفسير بالرأي، فيقول: "قوم فسَّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزَّل عليه والمخاطَب به..... فراعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيرًا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة"(١٥٦).

القسم الثاني: من يرى أن كلتا المرتين هما ما نعيشه الآن. وتفصيل قولهم على النحو التالي:

يرى هؤلاء أن هذا الذي حَدَّثَنا عنه القرآن ليس له وجود إلا في عصرنا، وهما إفسادان متعاقبان متواليان، مضى بعض منهما في السنوات الماضية، ولا يزال بعضٌ آخر منهما لم يقع. وهو رأي عمر الأشقر(١٥٧).

ويرى أن المراد بالجَوس: العمليات الانتحارية ونحوها من العمليات الموجعة التي يقوم بها المجاهدون ضد اليهود هذه الأيام. وأن الكَرَّة: هي بناء اليهود للجدار العازل، أما المرة الثانية (وعد الآخرة) المذكور في القرآن، والذي فيه تُساء وجوه اليهود، فهو: جيش قادم من المسلمين لا يخضع لِما يُعرف بالقوى العظمى، ولا مجلس الأمن، يفتحون المسجد الأقصى، ويدمرون العلو اليهودي(١٥٨).

وقد استند لمجموعة من القرائن:

القرينة الأولى: أن احتلال اليهود لفلسطين حدثٌ غير اعتيادي، ومن المستبعد أن لا تأتي الإشارة إليه في الكتاب أو السنة، وحيث لم يوجد في السنة إشارة لذلك فالصواب أنه موجود في القرآن في هذه الآيات من سورة الإسراء، لا سيما وأنه لم يحصل في التاريخ أن اليهود علَوا علوًّا كبيرًا ثم بعث الله عليهم عبادًا، ثم ردَّ الكَرة لليهود؛ فيتعين أن يكون المراد ما يحصل الآن!

ويُجاب عنه بما يلي:

- أنه لا يلزم أن كل حدث عظيم مرَّ بالمسلمين أن يكون له ذكر في القرآن أو السنة، وما قال بذلك أحد من أهل العلم، وأين حديث القرآن عن سقوط بغداد أو سقوط الأقصى بيد الصليبيين، وما حصل من مجازر في المسلمين في تلك الحادثتين أبشع ممَّا يحدث الآن.

- أن العلو اليهودي المنصرم ثابت في القرآن الكريم في آيات متعددة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]، والآيات والأخبار في سعة ملك نبي الله سليمان عليه السلام أشهر من أن تُذكَر، كما أنه أمر ثابت في التاريخ عند المسلمين وعند غيرهم

- أنه إذا قيل: إن العقوبة الأولى قد حصلت بغزو جالوت، فإن الكَرَّة لليهود قد حصلت مع طالوت وداوود عليه السلام، وهو أمر ثابت في القرآن لا يحلُّ إنكاره، وإن قيل: إنها في غزو بُختنَصَّر وأتباعه لهم فقد باد ملكهم إلى الأبد، وعاد بنو إسرائيل إلى بيت المقدس، وصاروا ممتنعين بما لهم من المال والولد عن أعدائهم إلى حين[١٥٩].

القرينة الثانية: يقول الأشقر: "إن الجَوس يعني: أن العباد أولي البأس الشديد يدخلون ديار اليهود، ويتوسطون فيها... وليس معناه احتلالها، وإخراج اليهود منها"[١٦٠]! ويرى أن هذا حصل بالعمليات الجهادية.

وأجيب عنه بما سبق من معنى الجَوس[١٦١]، وهو لا ينطبق أبدًا على العمليات الجهادية؛ فالجَوس يكون من قوم صارت لهم الغلبة؛ فلذا يذهبون ويرجعون في وسط الديار، يتتبعون الناس لقتلهم، لا يخشون عدوهم، فأين هذا من العمليات الجهادية! فهي عمليات خاطفة، تحُفُّ بها المخاطر، ما فشل منها أكثر ممَّا نجح، والمجاهد يخشى من اكتشاف أمره. ثم واضحٌ من النص القرآني أن هؤلاء العباد قد صارت لهم

الغلبة على بني إسرائيل؛ ولذا بيَّن تعالى أن الكَرَّة لاحقًا ستكون لبني إسرائيل، أما العمليات الجهادية فلا يُقال معها: إن التمكن والفتح قد صارا للمجاهدين، بل ما تزال الدولة لبني إسرائيل.

القرينة الثالثة: أن القرآن نسب الإفساد لبني إسرائيل، واليهود سمَّوا دولتهم بإسرائيل ولم يسموها باليهود، فيتطابق النص القرآني مع الاسم الذي سمَّى به اليهود دولتهم(١٦٢).

وأجيب عنه بما يلي:

- أنه في القرآن كله لم ينادِ الله اليهود إلا ببني إسرائيل، ولم يُنادِهم قط باليهود، فجرت الآية الكريمة على معهود القرآن في خطاب الله لهم، ولا داعيَ لتحميل النص فوق ما يحتمل.

- على التسليم، إلا أنه لا تطابُقَ؛ فاليهود سمَّوا دولتهم بإسرائيل، أما الآية الكريمة فخاطبتهم ببني إسرائيل.

- أنهم وإن سمَّوها بإسرائيل فإنهم جعلوها في قانونهم دولة لليهود بهذا الاسم، فلم يحصل التطابق المزعوم.

وبعدُ، فإذا كانت هذه هي القرائن التي اعتمدها الدكتور الأشقر -وقد أجيب عنها- فثمة قرائن في السياق تدل على إبطال قوله، وهي على النحو التالي:

- أن الله تعالى عطف بين المرتين بالحرف "ثم"، وهو دال على التراخي؛ ممَّا يدل على فاصلٍ زمني بين الوعدين، أما تفسير الأشقر فيجعل المرتين متصلتين ببعض؛ ممَّا يدل على ضعفه؛ لمخالفته ظاهر القرآن.

- أنَّ جعْل جدار الفصل العنصري هو الكَرَّة أو جزءًا منها: غلط ظاهر؛ لأن الكَرَّة كما تقدم -في التمهيد- هي الغلبة وعودة الظَّفَر؛ ممَّا يعني أنهم قبل ذلك كانوا مغلوبين، أما واقع الحال فأن الغلبة لليهود قبل وبعد بناء الجدار، ثم إن إطلاق الكَرَّة على الجدار أمر لا تُساعد عليه اللغة بأي شكلٍ من الأشكال!

- أنه واضح من سياق الآيات أن العباد في المرة الأولى سيدخلون المسجد الأقصى، ولم يكونوا دخلوه قبل ذلك، أما الجَوس -على تفسير الأشقر- فلا صلة له بدخول المسجد الأقصى، إنما هي عمليات قتالية موجعة. ثم ما يزال المسلمون في الأرض المقدسة يُصَلون في المسجد الأقصى لم يخرجوا عنه أصلًا ليدخلوا إليه، أما الآيات -في ظاهرها- فتدل على أن العباد المبعوثين لم يكونوا فيه ثم استولوا عليه؛ فلا تطابُق بين سياق الآيات وما ذكره صاحب هذا التفسير.

الترجيح:

بعد استعراض الاتجاهات بأقسامها تُجاه هذه الآيات، يتبين أن القول الحق هو ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول؛ وهو: أن هاتين المرتين المذكورة في الآية قد وقعتا قبل الإسلام، لِما يلي:

- أن قولهم مدلول عليه في ظاهر القرآن، متَّسِق مع الروايات التاريخية للمسلمين وغيرهم.
- أنه أمكن الإجابة عن جميع الاعتراضات على هذا القول.
- أن قولهم محل إجماع بين المسلمين لقرون، وهذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، وإذا كان مقرَّرًا في قواعد التفسير أنه لا يحل إحداث قول ثالث إذا كان السلف اختلفوا على قولين(١٦٣)، فمن بابٍ أَولى حرمة ذلك إذا كانوا لم يختلفوا أصلًا.
- أنه لم ينهض للاتجاهات الأخرى قرينة أو دليل سالم من المعارضة.

الخاتمة:

وبعد هذا التَّطواف أضعُ للقارئ الكريم أبرز نتائج هذا البحث وتوصياته.

النتائج:

- الصحيح أن الآيات الكريمات تتحدث عن عقوبتين حصلتا لبني إسرائيل إثر علوٍّ وفساد كبير منهم قبل الإسلام بقرون.
- أن في ذات الآيات الكريمات -محل الدراسة- من القرائن ما يدل على بطلان الاتجاهات التفسيرية المخالِفة لأقوال السلف.
- من الملحوظ مخالفة هذه الاتجاهات المرجوحة لجملة من قواعد التفسير.
- لم يلتزم المخالفون لقول السلف بضابط مهم حين تنزيل الآية على الواقعة، ألا وهو: أن تكون دلالة الآية على الواقع ظاهرة سالمة من المعارضة.
- أن العلو والإفساد الحالي لبني إسرائيل، متوعدون عليه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

التوصيات:

- أن يقوم دارس التفسير قبل الخوض في دلالة النص القرآني، وقبل تنزيله على الواقع، بالاطلاع بشكل استقصائي على أقوال السلف، والمتقدمين من المفسرين، وأن يحسن التعامل معها.
- دراسة قواعد التفسير دراسةً جيدة لكل من يريد التكلم في التفسير.
- دراسة المراد من مفردة "الأرض" في قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم؛ لِما لها من التأثير على دلالة الآيات.

هوامش البحث:

(١) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام البصري. تحقيق: هند شلبي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤٢٥هـ. ١/١١٥؛ تفسير غريب القرآن، عبد الله ابن قتيبة. تحقيق: إبراهيم رمضان. دار الهلال: بيروت. ط١، ١٤١١هـ. ص:

٢١٣؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري. تحقيق: عبد الله التركي. دار هجر: القاهرة. ط١، ١٤٢٢هـ. ١٤/٤٥٥-٤٥٦.

(٢) عمدة الحفاظ، السمين الحلبي. تحقيق: محمد التونجي. عالم الكتب: بيروت. ط١، ١٤١٤هـ. ٣/٣٧٢.

(٣) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام البصري.١/١١٥.

(٤) عمدة الحفاظ، السمين الحلبي.٣/١٤٣.

(٥) مجاز القرآن، معمر بن المثنى. تحقيق: فؤاد سزكين. دار الخانجي. القاهرة. ١/٣٧٠؛ معاني القرآن، يحيى الفراء. تحقيق: صلاح السيد. دار السلام: القاهرة. ط١، ١٤٣٤هـ. ٢/٦٠٤؛ تفسير الإمام أبي عبيد، غزيل الدوسري. دار الصميعي: الرياض. ط١، ١٤٣٤هـ. ٢/٧٠٥؛ غريب القرآن وتفسيره، عبد الله اليزيدي. تحقيق: محمد الحاج. عالم الكتب: بيروت. ط١، ١٤٠٥هـ. ص:٢١١؛ تفسير غريب القرآن، عبد الله ابن قتيبة. ص: ٢١٣؛ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج. تحقيق: عبد الجليل شلبي. دار الحديث: القاهرة. ١٤٢٦هـ ٣/١٨٦.

(٦) مجاز القرآن، معمر بن المثنى.١/٣٧١؛ غريب القرآن وتفسيره، عبد الله اليزيدي. ص:٢١١؛ تفسير غريب القرآن، عبد الله ابن قتيبة. ص:٢١٣.

(٧) تحفة الأريب، محمد بن يوسف أبو حيان. تحقيق: سمير المجذوب. المكتب الإسلامي: بيروت. ط٢، ١٤٠٨هـ. ص: ٢٦٩؛ عمدة الحفاظ، السمين الحلبي.٣/٤٥٣.

(٨) تفسير غريب القرآن، عبد الله ابن قتيبة. ص:٢١٣؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري. ١٤/٤٧٧.

(٩) غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني. تحقيق: محمد أديب. دار قتيبة: سوريا. ط١، ١٤١٦هـ. ص: ٤٦٥.

(١٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري. ١٤/٤٨٩.

(١١) مجاز القرآن، معمر بن المثنى.١/٣٧١؛ غريب القرآن وتفسيره، عبد الله اليزيدي. ص:٢١٢؛ تفسير غريب القرآن، عبد الله ابن قتيبة. ص:٢١٣.

(١٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان داوود. دار القلم: دمشق. ط١، ١٤١٢هـ. ص: ١٦٢.

(١٣) جامع البيان، الطبري، ١٤/ ٤٥٥، ٤٧٨، ٥٠٤؛ التفسير المحرر للقرآن الكريم، القسم العلمي بمؤسسة الدرر السَّنية. الظهران. ط١، ١٤٣٩هـ. ١٤/٤٠.

(١٤) تاريخ مدينة دمشق. علي بن الحسن ابن عساكر. تحقيق: محب الدين العمروي. دار الفكر: بيروت. ط١، ١٤١٨هـ. ٦٤/٢١١.

(١٥) جامع البيان، الطبري، ١٤/٤٥٦.

(١٦) المرجع السابق، ١٤/٤٥٦، ٤٧١، ٤٩٠.

(١٧) المرجع السابق، ١٤/ ٤٧٢، ٤٨٥. وينظر: الصحيح المسبور ٣/٢٢٠.

(١٨) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام، ١/١١٥-١١٦. وينظر: الصحيح المسبور ٣/ ٢١٩، ٢٢١.

(١٩) تفسير القرآن العظيم، محمد بن أبي حاتم. تحقيق: أسعد الطيب. مكتبة الباز: مكة المكرمة. ط٣، ١٤١٩هـ. ٢٣١٩/٧.

(٢٠) جامع البيان، الطبري، ٥٥٩/٨.

(٢١) تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان. تحقيق: عبد الله شحاته. دار إحياء التراث: بيروت. ط١، ١٤٢٣هـ. ٥٢١/٢.

(٢٢) جامع البيان، الطبري، ٤٥٧/١٤.

(٢٣) المرجع السابق، ٤٦٩/١٤.

(٢٤) بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي. تحقيق: علي معوض وآخرين. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٣هـ. ٢٦١/٢.

(٢٥) تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين. تحقيق: حسين عكاشة. الفاروق: القاهرة. ط١، ١٤٢٣هـ. ١٣/٣.

(٢٦) الكشف والبيان، أحمد بن إبراهيم الثعلبي. تحقيق: عدد من الباحثين. دار التفسير: جدة. ط١، ١٤٣٦هـ. ٢٧٥/١٦.

(٢٧) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب. إشراف: الشاهد البوشيخي. جامعة الشارقة. ط١، ١٤٢٩هـ. ٤١٤٥/٦.

(٢٨) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل: أحمد بن عمار المهدوي. تحقيق: دار الكمال. وزارة الأوقاف: قطر. ط١، ١٤٣٥هـ. ٧٩/٤.

(٢٩) التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي. تحقيق: عبد الرحمن هوساوي. جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض. ط١، ١٤٣٠هـ. ٢٦٦/١٣-٢٦٧.

(٣٠) تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني. تحقيق: ياسر إبراهيم. دار الوطن: الرياض. ط١، ١٤١٨هـ. ٢٢١/٣.

(٣١) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي. تحقيق: عبد الله النمر. دار طيبة: الرياض. ط٤، ١٤١٧هـ. ٧٦/٥.

(٣٢) لباب التفاسير. محمود بن حمزة الكرماني. تحقيق: محمد بعاج. دار اللباب: إسطنبول. ط١، ١٤٤٣هـ. ١٨٦/٥.

(٣٣) التيسير في التفسير، عمر بن محمد بن أحمد النسفي. تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرين. دار اللباب: إسطنبول. ط١، ١٤٤٠. ٣٧٣/٩.

(٣٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: مصطفى حسين. دار الريان: القاهرة. ط٣، ١٤٠٧هـ. ٦٥٠/٢.

(٣٥) المحرر الوجيز، عبد الحق بن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤٢٢هـ. ٤٤٠/٣.

(٣٦) زاد المسير، عبد الرحمن ابن الجوزي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي: بيروت. ط١، ١٤٢٢هـ. ١٢/٣.

(٣٧) المرجع السابق.

(٣٨) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط٣، ١٤٢٠هـ. ٣٠٢/٢٠-٣٠٣.

(٣٩) أنوار التنزيل. عبد الله بن عمر البيضاوي. تحقيق: محمد المرعشلي. دار إحياء التراث: بيروت. ط١، ١٤١٨هـ. ٢٤٩/٣.

(٤٠) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، أحمد بن عبد السلام ابن تيمية. تحقيق: علي حسن وآخرين. دار العاصمة: الرياض. ط٢، ١٤١٩هـ. ٩٥/٥.

(٤١) لباب التأويل، علي بن محمد الخازن. تصحيح: محمد شاهين. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٥هـ. ١٢٣/٣.

(٤٢) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جُزَي. تحقيق: عبد الله الخالدي. دار الأرقم: الكويت. ط١، ١٤١٦هـ. ٤٤٢/١.

(٤٣) البحر المحيط، محمد بن يوسف بن حيان. تحقيق: صدقي جميل. دار الفكر: بيروت. ١٤٢٠هـ. ١٣/٧.

(٤٤) غرائب القرآن. الحسن بن محمد النيسابوري. تحقيق: زكريا عمران. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٦هـ. ٣٢٧/٤.

(٤٥) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد الكوراني. تحقيق: العباس الحازمي. دار الحضارة: الرياض. ط١، ١٤٣٩هـ. ٣٢٩/٤.

(٤٦) تفسير الجلالين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الحديث: القاهرة. ط١. ص:٣٦٦.

(٤٧) الجواهر الحسان، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي. تحقيق: محمد علي وآخرين. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط١، ١٤٨هـ. ٤٥٤/٣.

(٤٨) فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي. تحقيق: نور الدين طالب. دار النوادر: الكويت. ط١، ١٤٣٠هـ. ٨٢/٤-٨٣.

(٤٩) روح البيان، إسماعيل حقي. دار الفكر: بيروت. ١٣٢/٥.

(٥٠) روح المعاني، محمود بن عبد الله الألوسي. تحقيق: علي عطية. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٥هـ. ٢١/٨.

(٥١) محاسن التأويل، جمال الدين محمد القاسمي. تحقيق: محمد باسل. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٨هـ. ٤٤٣/٦.

(٥٢) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي. شركة مصطفى البابي: القاهرة. ط١، ١٣٦٥هـ. ١٢/١٥.

(٥٣) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط١، ١٤٢٠هـ. ص: ٤٥٣.

(٥٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور. الدر التونسية: تونس. ١٩٨٤م. ٢٨/١٥.

(٥٥) العذب النمير، محمد الأمين الشنقيطي. تحقيق: خالد السبت. دار عطاءات العلم: الرياض. ط١٤٤١،٥هـ. ٢٩١/٤.

(٥٦) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر: دمشق. ط١، ١٤١١هـ. ١٤٩/٩.

(٥٧) ينظر: النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود. دار الكتب العلمية: بيروت. ٢٢٩/٣؛ التهذيب في التفسير، الحاكم الجشمي. تحقيق: عبد الرحمن السالمي. دار الكتاب المصري: القاهرة. ط١، ١٤٣٩هـ. ٦/ ٤١٥٨.

(٥٨) جامع البيان، الطبري، ٤٦٩/١٤.

(٥٩) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٣/٢٣٠-٢٣١؛ حدائق الروح والريحان، محمد الهرري. دار طوق النجاة: بيروت. ط١، ١٤٢١هـ. ٢٧/١٦.

(٦٠) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٠٠/٢٠؛ غرائب القرآن، القمي، ٣٢٧/٤؛ روح المعاني، الألوسي، ٢١/٨.

(٦١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٠٧/١٢. وينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٥٦١/٣.

(٦٢) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتُريدي. تحقيق: مجدي باسلوم. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤٢٦هـ. ٥٦١/٣

(٦٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ٢٧٧/٦-٢٧٨.

(٦٤) أضواء البيان، محمد الشنقيطي. دار عطاءات العلم: الرياض. ط٥، ١٤٤١هـ. ١٤٠/٢.

(٦٥) جامع البيان، الطبري، ٥٢٩/١٠-٥٣٣.

(٦٦) المرجع السابق ٤٠٦/١٤.

(٦٧) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ١٥٦/٩-١٥٧.

(٦٨) العذب النمير، الشنقيطي، ٢٩١/٤.

(٦٩) تأويلات أهل السنة، للماتريدي، ٧٦/٥.

(٧٠) جامع البيان، الطبري، ٤٤٢/٢-٤٤٣؛ تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ٢١٠/١-٢١١.

(٧١) جامع البيان، الطبري، ٤٤٤/١-٤٤٥.

(٧٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ٩٤/٥-٩٥. بعض المفسرين قديمًا وحديثًا جعلوا المرة الأولى هي ما أشار الله إليه في سورة البقرة من قصة طالوت وجالوت. ولما كان هذا الدليل متعلقًا بماهية المبعوثين لم أطِل الكلام فيه، لكنه بشكل عام يؤيد كون المرة الأولى -على الأقل- كانت قبل الإسلام.

(٧٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، دار القاسم: الرياض. ط١، ١٤١٧هـ ٣١٢/١.

(٧٤) جامع البيان، الطبري، ٤٦٩/١٤.

(٧٥) الإجماع في التفسير، عمار الجماعي. دار ابن الجوزي: الدمام. ط١، ١٤٣٦هـ. ص: ٤٧.

(٧٦) الإجماع في التفسير، محمد الخضيري، دار الوطن: الرياض. ط١، ١٤٢٠هـ. ص: ٥١.

(٧٧) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ٣٣٧/٦.

(٧٨) المرجع السابق، ٩٤/٥.

(٧٩) التفسير الحديث، دروزة محمد عزت. دار إحياء الكتب العربية: القاهرة. ١٣٨٣هـ. ٣٦٠/٣. ويُنظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير. تحقيق: عمر تدمري. دار الكتاب العربي: بيروت. ط١، ١٤١٧هـ. ٢٧٢/١؛ تاريخ الخميس، حسين

الديار بكري. دار صادر: بيروت. ١٧٧/١؛ البحر المديد، أحمد الحسني الفاسي. تحقيق: أحمد رسلان. الناشر: د: حسن زكي: القاهرة. ١٨٣/٣.

(٨٠) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٠٣/٢٠.

(٨١) ينظر: التفسير المحرر، مؤسسة الدرر السَّنية، ١٤/ ٤١، ٥٩.

(٨٢) ينظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي؛ بيان المعاني، عبد القادر العاني. مطبعة الترقي: دمشق. ط١، ١٣٨٢هـ. ٤٤٠/٢.

(٨٣) روح المعاني/ الألوسي، ٢١/٨. وينظر: الدر المصون، السمين الحلبي. تحقيق أحمد الخراط. دار القلم: دمشق. ٢١٩/٩.

(٨٤) تمهيد القواعد، محمد بن يوسف ناظر الجيش. تحقيق: علي فاخر. دار السلام: القاهرة. ط١، ١٤٢٨. ٥٤٦/١

(٨٥) التذييل والتكميل، محمد بن يوسف أبو حيان. تحقيق: حسن هنداوي. دار القلم: دمشق. ط١، ١٤١٨. ٩٣/٧. وينظر: همع الهوامع، عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. المكتبة التوفيقية، القاهرة. ١٢٣/٣.

(٨٦) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب. دار الفكر العربي: القاهرة. ٤٤٦/٨.

(٨٧) الأساس في التفسير، سعيد حوى. دار السلام: القاهرة. ط٦، ١٤٢٦هـ. ٣٠٤٤/٦.

(٨٨) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري. دار الغرب الإسلامي: بيروت. ط١، ١٤٠٥هـ. ٤٢٠/٣.

(٨٩) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم. دار القلم: دمشق. ط٣، ١٤٢٦هـ. ص: ٢٨٤.

(٩٠) التيسير في أحاديث التفسير، المكي الناصري، ٤٢٠/٣-٤٢١. وينظر: التفسير القرآني، الخطيب، ٤٥٧/٨؛ الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٣٠٤٤/٦.

(٩١) الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٣٠٤٤/٦.

(٩٢) دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني، عبد الله الرومي. دار التدمرية: الرياض. ط١، ١٤٣١هـ. ٧٥٩/٢.

(٩٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٥٤٤/٢؛ الكشف والبيان، الثعلبي، ٥٠١/١٦؛ معالم التنزيل، البغوي، ١٣٥/٥. وينظر: التفسير المحرر ٤٧٤/١٤.

(٩٤) معالم التنزيل، البغوي، ١٣٥/٥؛ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني. دار الكتب المصرية: القاهرة. ط٢، ١٣٨٤هـ. ٣٣٨/١٠.

(٩٥) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ١٢٣/٧.

(٩٦) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٤٧١/٢.

(٩٧) ينظر: البسيط، الواحدي، ٥٠١/١٣.

(٩٨) مفاتيح الغيب، الرازي، ٤١٦/٢١.

(٩٩) التفسير المحرر، ٤٧٥/١٤.

(١٠٠) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: ٢٨٥.

(١٠١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب. ٤٤٩/٨.

(١٠٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٤٧٩/١٤؛ الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي. تحقيق: بدر الدين قهوجي. دار المأمون: دمشق. ط٢، ١٤١٣هـ. ٨٦/٥؛ الدر المصون، السمين الحلبي ٣١٦/٧؛ أضواء البيان، الشنقيطي، ٤٨٤/٣.

(١٠٣) الإكسير في قواعد التفسير، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد اللطيف القيسي. مكتبة أهل الأثر: الكويت. ط١، ١٤٤٠هـ. ص: ٢٣٨. وينظر: قواعد التفسير، خالد السبت. دار ابن عفان: الخبر. ط١، ١٤١٧. ٢٩٠/١.

(١٠٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب. ٤٥٠/٨.

(١٠٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٤٢/٣.

(١٠٦) رواه النسائي في السنن ٣٨٥/١ برقم ٧٧٤. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٢٠٩٠.

(١٠٧) التفسير القرآني للقرآن ٤٥١/٨.

(١٠٨) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، ٦٠٣/٢.

(١٠٩) ينظر: التفسير القرآني، الخطيب، ٤٤٥٢/٨؛ الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٣٠٣٨/٦ – ٣٠٣٩.

(١١٠) لتفسدن في الأرض مرتين، محمد علي دولة، دار القلم: دمشق. ط٢. ص: ١٥٤.

(١١١) الثورة المكابية ثورة يهودية تُنسب لقائدها يهوذا مكابي ضد اليونانيين لغرض الاستقلال، وقد حصل لهم ذلك، بما يُعرف بالدولة الحشمونية عام ١٤٠ قبل الميلاد لكنها سقطت بعد ذلك على يد القائد الروماني بومباي. المرجع السابق، ص: ١٨٠.

(١١٢) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٤٤٥/٦. فقد لخص تاريخهم تلخيصًا حسنًا.

(١١٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة. ٤٣٣٧/٨.

(١١٤) المرجع السابق، ٤٣٣٨/٨-٤٣٣٩.

(١١٥) ينظر: البلاغة العربية لعبد الرحمن الميداني. دار القلم: دمشق. ط١، ١٤١٦هـ. ٤٧٩/١.

(١١٦) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة العامة للكتاب: القاهرة. ط١، ١٣٩٤هـ. ٢٩٠/٣، ٢٩٣.

(١١٧) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. البابي الحلبي: القاهرة. ط١، ١٣٧٦هـ. ٢٠٠/٢.

(١١٨) دراسات في قواعد الترجيح، عبد الله الرومي، ٦٣٤/٢.

(١١٩) مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٨٩/٣.

(١٢٠) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ٤٣٣٧/٨.

(١٢١) المرجع السابق ٤٣٣٨/٨.

(١٢٢) المرجع السابق.

(١٢٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، ٢/٦٠٣.

(١٢٤) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٨/ ٤٣٣٩.

(١٢٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٤/٢٧٦؛ قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، ٢/٤٧٣.

(١٢٦) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٨/ ٤٣٣٩.

(١٢٧) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/٤٨٢؛ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/٢٤٤.

(١٢٨) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٨/ ٤٣٣٣ – ٤٣٣٩.

(١٢٩) قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، ٢/٦١٣؛ دراسات في قواعد الترجيح، الرومي، ١/٤٢٧.

(١٣٠) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. مطابع أخبار اليوم: القاهرة. ١٩٩٧م. ١٣/٨٣٥٢.

(١٣١) التفسير والمفسرون، فضل حسن عباس. دار النفائس: الأردن. ط١، ١٤٣٧هـ. ٣/١١٨.

(١٣٢) الشخصية اليهودية، صلاح الخالدي. دار القلم: دمشق. ط١، ١٤٠٧هـ. ص: ٣٣٣.

(١٣٣) ينظر: تفسير الشعرواي. ١٤/٨٣٥٣.

(١٣٤) تفسير الشعراوي، ١٤/٨٣٥٨.

(١٣٥) الشخصية اليهودية، صلاح الخالدي. ص: ٣٣٨-٣٣٩.

(١٣٦) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ١/١٤٩.

(١٣٧) تفسير الشعراوي، ١٤/٨٣٥٣.

(١٣٨) ينظر أيضًا آخر الاتجاه الأول.

(١٣٩) الشخصية اليهودية، الخالدي، ص: ٣٣٩.

(١٤٠) في المطلب الثاني: الدليل الأول.

(١٤١) المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم. مركز تفسير: الرياض. ط١، ١٤٣٦هـ. ٢/٧٤٠-٧٤٢.

(١٤٢) المرجع السابق.

(١٤٣) المغني في القراءات، محمد بن أبي نصر النوزاوازي. تحقيق: محمود كابر الشنقيطي. جمعية تبيان: الرياض. ط١، ١٤٣٩هـ. ٣/١١٢٣.

(١٤٤) الضوابط في علوم القرآن، مي الغامدي. دار طيبة الخضراء: جدة، ط١، ١٤٤٤هـ. ص: ١٧٩.

(١٤٥) قواعد الترجيح، الحربي، ١/١٠٠.

(١٤٦) الشخصية اليهودية، الخالدي، ص: ٣٤٠.

(١٤٧) تفسير السعدي، ص:٩٢٦؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/٣٨٨-٣٨٩.

(١٤٨) الشخصية اليهودية، الخالدي، ص: ٣٤٠.

(١٤٩) ينظر: الجامع الصحيح للسيرة النبوية، سعد المرصفي. مكتبة ابن كثير: الكويت. ط١، ١٤٣٠. ٤/ ١٧٤٨؛ الشخصية اليهودية، صلاح الخالدي، ٣٤٣-٣٤٥.

(١٥٠) قواعد الترجيح، الحربي، ١/١٣٧.

(١٥١) لتفسدن في الأرض مرتين، محمد دولة، ص: ١١٧.

(١٥٢) أدلة الاتجاه الثاني.

(١٥٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٤/٤٧٦؛ التفسير المحرر، ١٤/٤٥.

(١٥٤) لتفسدن في الأرض مرتين، محمد دولة، ص: ٣٢-٣٥، ١٥١، ٢٦٦.

(١٥٥) الجامع الصحيح للسيرة النبوية، المرصفي، ٤/١٧١٠.

(١٥٦) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية. دار الحياة: بيروت. ١٤٠٩هـ. ص: ٣٣.

(١٥٧) وليُتَبِّروا ما علوا تتبيرًا، عمر الأشقر، دار النفائس: عمان. ط٢، ١٤٤٢هـ. ص: ١٦٣.

(١٥٨) المرجع السابق، ص: ١٦٥-١٦٧.

(١٥٩) ينظر: القرينة الرابعة في الاتجاه الثاني، المطلب الثاني.

(١٦٠) المرجع السابق، ص: ١٦٥.

(١٦١) في التمهيد.

(١٦٢) المرجع السابق، ص: ١٦٨.

(١٦٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، ١/٢٨٠.

المراجع

- القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة العامة للكتاب: القاهرة. ط١، ١٣٩٤هـ.

٢. الأساس في التفسير، سعيد حوى. دار السلام: القاهرة. ط٦، ١٤٢٦هـ.

٣. أضواء البيان، محمد الشنقيطي. دار عطاءات العلم: الرياض. ط٥، ١٤٤١هـ.

٤. الأكسير في قواعد التفسير، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد اللطيف القيسي. مكتبة أهل الأثر: الكويت. ط١، ١٤٤٠هـ.

٥. أنوار التنزيل. عبد الله بن عمر البيضاوي. تحقيق: محمد المرعشلي. دار إحياء التراث: بيروت. ط١، ١٤١٨هـ.

٦. بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي. تحقيق: علي معوض وآخرون. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٣هـ.

٧. البحر المحيط، محمد بن يوسف بن حيان. تحقيق: صدقي جميل. دار الفكر: بيروت. ١٤٢٠هـ.

٨. البحر المديد، أحمد الحسني الفاسي. تحقيق: أحمد رسلان. الناشر: د: حسن زكي: القاهرة.

٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. البابي الحلبي: القاهرة. ط١، ١٣٧٦هـ

١٠. بيان المعاني، عبد القادر العاني. مطبعة الترقي: دمشق. ط١، ١٣٨٢هـ.

١١. تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي. تحقيق: مجدي باسلوم. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١،

١٤٢٦هـ.

١٢. تاريخ الخميس، حسين الديار بكري. دار صادر: بيروت.

١٣. تاريخ مدينة دمشق. علي بن الحسن ابن عساكر. تحقيق: محب الدين العمروي. دار الفكر: بيروت. ط١، ١٤١٨هـ.

١٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور. الدر التونسية: تونس. ١٩٨٤م.

١٥. تحفة الأريب، محمد بن يوسف أبو حيان. تحقيق: سمير المجذوب. المكتب الإسلامي: بيروت. ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٦. التحصيل لفوائد كتاب التفصيل: أحمد بن عمار المهدوي. تحقيق: دار الكمال. وزارة الأوقاف: قطر. ط١، ١٤٣٥هـ.

١٧. التذييل والتكميل، محمد بن يوسف أبو حيان. تحقيق: حسن هنداوي. دار القلم: دمشق. ط١، ١٤١٨.

١٨. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي. تحقيق: عبد الله الخالدي. دار الأرقم: الكويت. ط١، ١٤١٦هـ.

١٩. تفسير الإمام أبي عبيد، غزيل الدوسري. دار الصميعي: الرياض. ط١، ١٤٣٤هـ. ٧٠٥/٢

٢٠. التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي. تحقيق: عبد الرحمن هوساوي. جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض. ط١، ١٤٣٠هـ.

٢١. تفسير الجلالين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الحديث: القاهرة. ط١.

٢٢. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت. دار إحياء الكتب العربية: القاهرة. ١٣٨٣هـ.

٢٣. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. مطابع أخبار اليوم: القاهرة. ١٩٩٧م.

٢٤. تفسير غريب القرآن، عبد الله ابن قتيبة. تحقيق: إبراهيم رمضان. دار الهلال: بيروت. ط١، ١٤١١هـ.

٢٥. تفسير القرآن العظيم، محمد بن أبي حاتم. تحقيق: أسعد الطيب. مكتبة الباز: مكة المكرمة. ط٣، ١٤١٩هـ.

٢٦. تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين. تحقيق: حسين عكاشة. الفاروق: القاهرة. ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٧. تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني. تحقيق: ياسر إبراهيم. دار الوطن: الرياض. ط١، ١٤١٨هـ.

٢٨. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب. دار الفكر العربي: القاهرة.

٢٩. التفسير المحرر للقرآن الكريم، القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية. الظهران. ط١، ١٤٣٩هـ.

٣٠. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي. شركة مصطفى البابي: القاهرة. ط١، ١٣٦٥هـ.

٣١. تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان. تحقيق: عبد الله شحاته. دار حياء التراث: بيروت. ط١، ١٤٢٣هـ.

٣٢. التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر: دمشق. ط١، ١٤١١هـ.

٣٣. التفسير والمفسرون، فضل حسن عباس. دار النفائس: الأردن. ط١، ١٤٣٧هـ.

٣٤. تفسير يحي بن سلام، يحي بن سلام البصري. تحقيق: هند شلبي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٥. تمهيد القواعد، محمد بن يوسف ناظر الجيش. تحقيق: علي فاخر. دار السلام: القاهرة. ط١، ١٤٢٨.

٣٦. التهذيب في التفسير، الحاكم الجشمي. تحقيق: عبد الرحمن السالمي. دار الكتاب المصري: القاهرة. ط١، ١٤٣٩هـ.

٣٧. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري. دار الغرب الإسلامي: بيروت. ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٨. التيسير في التفسير، عمر بن محمد بن أحمد النسفي. تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون. دار اللباب: إسطنبول. ط١، ١٤٤٠.

٣٩. تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري. تحقيق: عبد الله التركي. دار هجر: القاهرة. ط١، ١٤٢٢هـ.

٤١. ينظر الجامع الصحيح للسيرة النبوية، سعد المرصفي. مكتبة ابن كثير: الكويت. ط١، ١٤٣٠.

٤٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني. دار الكتب المصرية: القاهرة. ط٢، ١٣٨٤هـ.

٤٣. الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، أحمد بن عبد السلام ابن تيمية. تحيق: علي حسن وآخرين. دار العاصمة: الرياض. ط٢، ١٤١٩هـ.

٤٤. الجواهر الحسان، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي. تحقيق: محمد علي وآخرين. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط١، ١٤٨هـ.

٤٥. الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي. تحقيق: بدر الدين قهوجي. دار المأمون: دمشق. ط٢، ١٤١٣هـ.

٤٦. حدائق الروح والريحان، محمد الهرري. دار طوق النجاة: بيروت. ط١، ١٤٢١هـ.

٤٧. دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني، عبد الله الرومي. دار التدمرية: الرياض. ط١، ١٤٣١هـ.

٤٨. الدر المصون، السمين الحلبي. تحقيق أحمد الخراط. دار القلم: دمشق.

٤٩. روح البيان، إسماعيل حقي. دار الفكر: بيروت.

٥٠. روح المعاني، محمود بن عبد الله الألوسي. تحقيق: علي عطية. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٥هـ.

٥١. زاد المسير، عبد الرحمن ابن الجوزي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي: بيروت. ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٢. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي.

٥٣. السنن، أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق: حسن شلبي. دار الرسالة: بيروت. ط١، ١٤٢١هـ.

٥٤. الشخصية اليهودية، صلاح الخالدي. دار القلم: دمشق. ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٥. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي: بيروت.

٥٦. الضوابط في علوم القرآن، مي الغامدي. دار طيبة الخضراء: جدة، ط١، ١٤٤٤هـ.

٥٧. العذب النمير، محمد الأمين الشنقيطي. تحقيق: خالد السبت. دار عطاءات العلم: الرياض. ط١٤٤١،٥هـ.

٥٨. عمدة الحفاظ، السمين الحلبي. تحقيق: محمد التونجي. عالم الكتب: بيروت. ط١، ١٤١٤هـ.

٥٩. غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد الكوراني. تحقيق: العباس الحازمي. دار الحضارة: الرياض. ط١، ١٤٣٩هـ.

٦٠. غرائب القرآن. الحسن بن محمد النيسابوري. تحقيق: زكريا عمران. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٦هـ.

٦١. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني. تحقيق: محمد أديب. دار قتيبة: سوريا. ط١، ١٤١٦هـ.

٦٢. غريب القرآن وتفسيره، عبد الله اليزيدي. تحقيق: محمد الحاج. عالم الكتب: بيروت. ط١، ١٤٠٥هـ.

٦٣. فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الجين بن محمد العليمي. تحقيق: نور الدين طالب. دار النوادر: الكويت. ط١، ١٤٣٠هـ.

٦٤. قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، دار القاسم: الرياض. ط١، ١٤١٧هـ.

٦٥. قواعد التفسير، خالد السبت. دار ابن عفان: الخبر. ط١، ١٤١٧.

٦٦. الكامل في التاريخ، ابن الأثير. تحقيق: عمر تدمري. دار الكتاب العربي: بيروت. ط١، ١٤١٧هـ.

٦٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري. تحيق: مصطفى حسين. دار الريان: القاهرة. ط٣، ١٤٠٧هـ.

٦٨. الكشف والبيان، أحمد بن إبراهيم الثعلبي. تحقيق: عدد من الباحثين. دار التفسير: جدة. ط١، ١٤٣٦هـ.

٦٩. لباب التأويل، علي بن محمد الخازن. تصحيح: محمد شاهين. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٥هـ.

٧٠. لباب التفاسير. محمود بن حمزة الكرماني. تحقيق: محمد بعاج. دار اللباب: إسطنبول. ط١، ١٤٤٣هـ.

٧١. لتفسدن في الأرض مرتين، محمد علي دولة، دار القلم: دمشق. ط٢.

٧٢. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم. دار القلم: دمشق. ط٣، ١٤٢٦هـ.

٧٣. مجاز القرآن، معمر بن المثنى. تحقيق: فؤاد سزكين. دار الخانجي. القاهرة.

٧٤. محاسن التأويل، جمال الدين محمد القاسمي. تحقيق: محمد باسل. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٨هـ.

٧٥. المحرر الوجيز، عبد الحق بن عطية. تحيق: عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٦. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي. تحقيق: عبد الله النمر. دار طيبة: الرياض. ط٤، ١٤١٧هـ.

٧٧. معاني القرآن، يحي الفراء. تحقيق: صلاح السيد. دار السلام: القاهرة. ط١، ١٤٣٤هـ.

٧٨. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج. تحقيق: عبد الجليل شلبي. دار الحديث: القاهرة. ١٤٢٦هـ.

٧٩. المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم. مركز تفسير: الرياض. ط١، ١٤٣٦هـ.

٨٠. المغني في القراءات، محمد بن أبي نصر النوزاوازي. تحقيق: محمود كابر الشنقيطي. جمعية تبيان: الرياض. ط١، ١٤٣٩هـ.

٨١. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط٣، ١٤٢٠هـ.
٨٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان داوود. دار القلم: دمشق. ط١، ١٤١٢هـ.
٨٣. مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية. دار الحياة: بيروت. ١٤٠٩هـ.
٨٤. النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود. دار الكتب العلمية: بيروت.
٨٥. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب. إشراف: الشاهد البوشيخي. جامعة الشارقة. ط١، ١٤٢٩هـ.
٨٦. همع الهوامع، عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٨٧. وليتبروا ما علوا تتبيرا، عمر الأشقر، دار النفائس: عمان. ط٢، ١٤٤٢هـ.